سيلفيا أرازي

الانفصال

ترجمة: طه زيادة

رواية

t.me/qurssan

t.me/qurssan

سيلفيا أرازي

الانفصال

ترجمة: طه زيادة

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution

2019

SILVIA ARAZI

LA SEPARACIÓN

TRANSLATED BY TAHA ZIADA

t.me/qurssan

الانفصال / رواية
سيلفيا أرازي
ترجمة: طه زيادة
العنوان الأصلي للكتاب:
LA SEPARACIÓN
by: SILVIA ARAZI
Translated by: Taha Ziada

الطبعة الأولى - 2019

ISBN 978-1-988483-95-5

جميع الحقوق محفوظة

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution
Ottawa, ON. Canada
info@masaapublishing.com
www.masaapublishing.com

Copyrights LA SEPARACIÓN: © *Silvia Arazi 2017*
by arrangement with AGENCIA LITERARIA CARMEN BALCELLS, S.A.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

تصميم الغلاف: محمد النبهان
Cover Photo: Shutterstock

t.me/qurssan

إهداء الترجمة:

إلى شقيقتي البهيتين الصغرى والكبرى،

إلى الملتقى في عالم أفضل

t.me/qurssan

t.me/qurssan

إلى يديك

t.me/qurssan

t.me/qurssan

«عندما أستيقظ ليلا أسمعه يتقلب.
ثم يسعل. وبعد برهة من الصمت أسعل أنا.
ثم يعاود هو السعال. يستمر ذلك لفترة.
حتى أشعر بأننا ديكان يتطارحان الغرام في فجر كاذب»،

كاثرين منسفيلد.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الليل

أتطلع إلى رجل نائم إلى جواري، سيُصبح اعتبارا من الغد وإلى الأبد، زوجي السابق، ومن المحتمل ألا يعود للنوم بجانبي مرة أخرى. ما زال الوقت ليلا. أنصت باهتمام لكل صوت من أصوات المنزل. تساقط قطرات صنبور الحمام ببطء، طرق فرع شجر على زجاج نافذة حجرة نومنا، نباح كلب عن بعد، الدقات المنغمة للساعة على الطاولة المجاورة للفراش.

الرجل النائم الذي أتطلع إليه هو بدرو.

تتوقف نظراتي على جسده بنوع من الحنين المسبق الناجم عن المرة الأخيرة في كل الأشياء. وكنوع من التدشين لها، أردد اسمه بصوت منخفض: بدرو. بدرو.

أتذكر المتعة التي كنت أشعر بها كلما رددت تلك الكلمة في الأيام الخوالي لعلاقتنا. كانت حروف اسمه تنساب في فمي مثل فاكهة حلوة، وسرعان ما أستحضر نظرته، رائحته، ذكرى ملمس بشرته. بدرو، أقولها الآن وألاحظ بعد خمسة عشر عاما من الزواج وعلى حافة الانفصال، كيف تشرّب ذاك الاسم مع الزمن بطعم مر.

الرجل النائم الذي أتطلع إليه عاري الصدر، تساقط الكثير من شعره وأصبح أكثر بدانة. يحتفظ، برغم سنوات عمره الثمانية والأربعين بوجه يافع ويدين ما زالتا مؤثرتين. يدان كبيرتان وجميلتان، دافئتان دومًا.

t.me/qurssan

أسأل نفسي، في أكثر أوقاته حميمية، كيف سيفكر هو فيّ. هل أنا جذابة؟ شيقة؟ مملة؟ أمٌّ جيدة؟ لاشيء؟ سيفكر بالتأكيد أني تغيرت، وأنني قد فقدت الكثير من سحري. لكن، لا أريد أن أفكر أو أعرف. كان أبي يقول إن من رحمة الله بنا ألا نعرف كل شيء. واليوم أنا ممتنة لهذا الجهل اللذيذ.

لو كان جسد زوجي يستطيع قراءة أفكاري، لكانت إحدى يديه، الكبيرتين، الدافئتين، البديعتين داعبت ردفي.

إنها السادسة.

يتسرب ضوء الصباح الوردي الشفيف بنعومة عبر ستائر نافذتنا. في السابعة سوف يدق المنبه وسيستيقظ هو بعد ترديد بضع كلمات تنم عن ضيق. سوف يسألني ماذا أفعل مستيقظة مبكرا هكذا، وسأعطيه تفسيرا أحمقَ ومبهما سوف يستمع إليه نصف منتبه.

سوف أتحدث إليه بصورة مبهمة وسوف يسمعني بدون اهتمام. اعتدنا منذ فترة التواصل على هذا النحو.

بعد قليل، سأوقظ ابنتنا، أخرج لها البيجامة وأدفعها دفعا إلى الحمام. ثم أحضر القهوة بالحليب، ونتناول ثلاثتنا الإفطار على طاولة المطبخ. ربما يخيم علينا صمت حذر. تفرض علينا خطورة الموقف الصمت. أو ربما، نشكو، كما لو كان يوما عاديا، مجددا من إجراءات الحكومة الأخيرة، من مواسير صرف حمام الجار، من نشرة مورينا أو أشجار الدلب المشرقي اللعينة التي تصر على نثر زغبها في فناء منزلنا.

يتقلب الرجل النائم بجانبي في الفراش ويدير لي ظهره.

النهاية.

t.me/qurssan

أنتظر هذا اليوم منذ شهور، وربما منذ سنوات. تحدثنا كثيرا عن انفصالنا. وتمنيناه كثيرا. وخشيناه أيضا. صحيح أنها كانت نهاية متوقعة ومحسومة ومتفق عليها. ولكن، كيف يمكن الهروب من ألم الفقد؟ كيف يمكن حتى التوصل لاستيعاب كلمة «غياب»؟

t.me/qurssan

المكان الوحيد

كيف أنساه؟ أتحدث عن وجهه. وكان آخر ما رأيته تحديدا قبل أن يستقل بدرو المصعد ليرحل عن المنزل -الحقائب على الأرض، حزام حقيبته متقاطع على صدره كما لو كانت بندقية، السترة الخضراء تتدلى من ذراعه الأيسر- تصورت لوهلة أنه سوف يقول لي شيئا. شيء مهم أو تافه، من يدري، لكن شيء، فقط قوّس حاجبيه ورفع كتفيه، وانفرجت شفتاه. كما لو كان سيتكلم، أو سيبتسم.

لكن، سرعان ما تلاشت هذه اللفتة وبقي وجهه خاليا من أي تعبير. حينئذٍ تطلعت إليه. وجه لم يسبق لي أن رأيته من قبل.

وجه أعزل، عارٍ، وعلى درجة من البراءة تبعث على الأسى في شخص مثل بدرو، وعلى الضحك قليلا، لأنه بالتأكيد كان ليبدو غريبا، حتى بالنسبة له شخصيا. كان وجهه في تلك اللحظة -عند هذه المرحلة من علاقتنا، التي تماهى فيها مع وجهي- لشخص غريب. تساءلت كم وجها خبأها كل منا للآخر طوال السنوات التي عشناها معا. لدقائق معدودة، نظر كل منا للآخر صامتين، صارمين، غارقين في حالة من الحدة كنا قد تناسيناها. وكأننا نحاول أن نشم الذاكرة بتلك اللحظة من الجحيم، الذي كان في النهاية جحيمنا. المكان الوحيد الذي امتلكناه وينفصل الآن عنا، ليتركنا مستنفدين. وفي منتهى العزلة.

t.me/qurssan

الجدة قالت بنت فاتت على قدمي[1]

- الملاك الأول، تعالي إلى هنا.

- لا الجني هناك.

- افردي جناحيك وتعالي إليّ!

أعدو بكل ما أوتيت من قوة بساقيّ النحيلتين، عراقيب كرسوع، كما يقول أبي. أعدو مكفهرة لاهثة، وكأنها مسألة حياة أو موت. أعدو يائسة إلى أن ترتطم ركبتي بشيء صلب فأتعثر. أسقط على وجهي فوق العشب الرطب. أشعر بطعم الطين في فمي. بطعم الإذلال. تؤلمني ركبتاي، ذراعاي اللذان حاولت تخفيف السقوط بهما، وجهي ويداي. الألم حاد. باتر مثل ضحكة شقيقتي. يمكنني مشاهدة نفسي من أعلى تقريبا مثلما يفعل الموتى في الأفلام، ومثلما تنظر شقيقتي إليّ.

هأنذا: ملقاة على العشب، منكفئة على وجهي، منفرجة الذراعين والساقين كملاك مهزوم. أو كذبابة تحتضر، في الحقيقة، أقرب للذبابة من الملاك.

ما زال جسدي بلا حراك، لكن بداخلي نار تتأجج. نار الغضب.

---

1. أغنية شعبية يرددها الأطفال عند لعب الغميضة أو الحجلة، يقابلها في التراث الشعبي «كيلو بامية القطة العامية».

t.me/qurssan

تقترب شقيقتي، تصوب نحوي، حذاءً متعجرفا، مصقولا، ناصع البياض. لن أدرك أبدا ماذا تفعل ميراندا لكي تكون ثيابها مهندمة إلى هذا الحد، شريط الشعر مشدود، الشعر لامع ومصفف بعناية. أنا لم أكن كذلك. كانت دِليا تشكو، عند عودتي من المدرسة من شريط شعري محلولا دائما، من يدين ملطختين بالحبر، من جواربي متهدلة. «آي، تلك الجوارب، لوثيا... تلك الخصلات... ياللعذراء المقدسة... يالكِ من طفلة شديدة الإهمال!».

- مغلوبة (هتف صوت ميرندا من سمائها الشفافة). جسدي بالكامل يؤلمني، ولكن آلمني أكثر أسلوبها البشع في إعلان هزيمتي.

- مغلوبة (تكرر بهدوء ارستقراطي).

ورثت هذا الهدوء، ضمن أشياء أخرى عن أمنا. حينئذ تمتد ذراعي الحرة نحو كاحلها الذي يليق بأميرة -تقول أمي إن الناس الأنيقين لديهم كواحل رقيقة- وأضغط عليه كمخلب حتى أجعلها تصرخ.

تطلق شقيقتي صرخة حادة طويلة. مبالغ فيها. «لا تصرخا» تقول أمي من مقعدها الوثير، لاهية عنا. في النهاية يطلق ذراعي سراح كاحل ميراندا. أنهض وأسير عرجاء حتى ظل شجرة الصنوبر حيث يجلس بابا على مقعد من الخيزران ممسكا بكتاب بين يديه.

- ماذا هناك يا حلوتي؟ -يقول مبتسما من مظهري وأنا أشبه بحشرة بائسة، ويشير إليّ لكي أقترب. أجلس في حجره، أختبئ في حضنه الدافئ وألصق أنفي بصدره. تفوح منه رائحة ماء اللافندر، وعرق وتبغ. رائحة محببة. رائحة رجل. رائحة أب.

كان توبياس بالقرب منا -بستاني العائلة منذ أن وعيت على الدنيا- يجز العشب بماكينته الكهربائية. يروقني توبياس: شواربه، أنفه الكبير الأحمر

t.me/qurssan

القاني كما لو كان ثمرة باذنجان، حذاؤه المطاطي العالي أصفر اللون ومزاجه الرائق دوما، أعتقد أن سعادته توازن قليلا جو المنزل. لكن لا أحب ماكينة جز الحشائش. لا يمكنني نسيان أن عمي (جميل)، شقيق والدي الأكبر، مات مصعوقا وهو يجز العشب بماكينة مثل تلك.

- في لحظة (حكى أبي مرة تلو الأخرى) جميل المسكين، تخشب. شاحبا، شاحبا... وفجأة... (عند هذه النقطة من الحكاية، كان يتوقف بشكل درامي) مات. في دقيقة واحدة، تيبس (جميل). مات.

تصيبني ماكينة توبياس برجفة، منذ أن سمعت قصة (جميل) المأسوية. ومع ذلك، لا أستطيع الكف عن النظر. إنه شيء غريب. كما لو كنت أخشى أن يحدث لتوبياس شيء فظيع وفي نفس الوقت أنتظر أن يشحب ويتخشب. أن يتصلب ويموت.

في الحقيقة، أخشى الكثير من الأشياء الأخرى. ليس فقط ماكينة جز العشب. أخاف أيضا من الرعد، من الدمى القديمة، من العجائز، ومن السرطان ومن المشاجب -تنتابني كوابيس بشعة مع مشاجب-، وأشياء أخرى لا أتذكرها الآن. تقول شقيقتي إنني خوّافة. تضحك أمي وتقول إنه من الحماقة أن ينتابك الخوف. تؤكد أنها لا تخاف من شيء، سوى حماقة البشر.

t.me/qurssan

مساحات

أشتاقُ إليه.

تعقد مارتا فرياس ساقيها النحيلتين الملفوفتين في جوارب (فوال) شفافة وتسألني:

- وما هو الذي تشتاقين إليه؟

سؤالها ليس بريئا. تقصد بالتأكيد إيقاظ ذاكرتي الهشة. فقد سمعتني خلال آخر عامين أشكو كل أسبوع تقريبا من زوجي. والآن، أخبرها بأني أشتاق إلى بدرو.

- لا أدري. أشتاق لسماع ضحكته. صوته، سترته على المشجب، حقيبته على المقعد.

أخبرها أيضا أنه ينتابني أمر في منتهى الغرابة. أجد نفسي أفعل أشياء لم أعتد القيام بها. عادات بدرو. سلوكياته. بما في ذلك، تلك التي كنت أنتقدها. أنام مبكرا، في توقيتات كانت تبدو لي سخيفة، أترك التلفاز مفتوحا لساعات، أرتب الأدراج بشكل شبه مهووس، أحفظ الملابس الداخلية في أكياس شفافة. أرتب الملابس حسب الألوان.

- وكأن عاداته تجسدت فيّ. كما لو أن كائنا فضائيا احتل جسدي. يفزعني أن أجد نفسي أفعل أشياء كنت أمقتها فيه. أبتسم.

t.me/qurssan

أما هي فلا. تستمع إليّ بجدية وكأني أحكي لها شيئا في منتهى الخطورة. وتدون ملاحظات. دونت شيئا.

- أشتاق إليه -أقول مرة أخرى.

- ألا تعتقدين أنها فرصة جيدة للاستمتاع بمساحتك؟

المساحات. سمعت كثيرا منذ انفصالي حديثا عن المساحات. كثيرا جدا. يردده أصدقائي، المجلات النسائية، مقدمات برامج التلفاز، شقيقتي. دودي. والآن هي.

- ماذا؟ تساءل الضجر عبر صوتي.

- يمكنك الاستمتاع بوقت فراغك، منزلك.

- أستمع إليها. أنظر إلى يدي.

- يمكنك التعرف على أشخاص آخرين، عمل شيء جديد، السفر.

لن أجيب. لا يمكنني تصور أنها أيضا تحدثني عن المساحات. أتطلع إلى لوحة معلقة أمام أريكتي. إنها نسخة يابانية مقلدة. كنا نحلم بدرو وأنا بالقيام برحلة طويلة إلى اليابان وقضاء شيخوختنا هناك. كنا نحب تصور أنفسنا عجوزين وادعين، حافيين، نتناول الأرز على حصيرة تاتامي ونقرأ قصائد الهايكو عند الغروب.

تُصور اللوحة المعلقة أمامي، أمًّا مع طفلها الصغير. ترتدي المرأة كيمونو مطبوعا بأزهار كبيرة حمراء وسوداء. تجلس القرفصاء وعيناها شبه مغمضتين. تبدو منهكة. يلهو الطفل بإناء أخضر اللون. يعتبر الطفل قبيحا بكل تأكيد بالنسبة للذوق الغربي، بوجهه العجوز. وأسأل نفسي إذا كان الأطفال سيظلون محبوبين كل هذا القدر ويداعبهم الجميع إذا كانوا بهذا

t.me/qurssan

القبح مثل العجائز. أفكر كعادتي دائما في سر الجمال.

أسأل نفسي أيضا، كم من المرضى سوف يتطلعون إلى تلك اللوحة من بين دموعهم مثلما أفعل أنا الآن. تضيف معالجتي النفسية بصوت محايد:

- ربما يمكنك أن تعيشي هذه العزلة كرحلة داخلية.

تستقر يدا مارتا المعتنى بهما فوق تنورتي، وتأخذ في النقر كما لو كانت لديها لوحة مفاتيح متخيلة. يبدو أن صمتي أصابها بالقلق. تألق في خنصرها خاتم الزواج. تحدثني عن أشياء مثل الأزمات والفرص. ولكن لم أعد أنصت إليها. يوجد على طاولة مكتبها إطارا صور. أحدهما -الأكبر- لرجل أشيب ملتحٍ والثاني لرجلين شابين، رياضيين، باسمين بشرتهما برونزية ويرتديان ملابس رياضية. أتخيل منزلها. بيت من طابقين وله حديقة ومقاعد أنيقة من البامبو. أتخيلها جالسة إلى جوار مدفأة مشتعلة بجانب الرجل الملتحي الذي يظهر في إحدى الصور. وفي الحديقة ولداها الرياضيان، يبتسمان ويلتهمان كعكة فواكه بينما يستمعان إلى بينك فلويد.

تبتسم مارتا وزوجها أيضا. ضج العالم كله بالضحك حينما أصابنا الحزن. أدرك فجأة أنني أشعر بالجوع. جوع فقراء، جوع أيتام. أريد شوكولاتة، سلاطة فواكه بالكريمة، معجنات، علب حلوى. أُخرج قطعة شوكولاتة من حقيبتي اشتريتها قبل الدخول. أحدث ضوضاء بطيئة، ومضجرة بورق التغليف وأشرع في الاستمتاع بها على مهل. مرة أخرى، تعقد ساقيها بلون لحمي شفاف كمقص صامت وشرس. لا نتحدث حتى نهاية الجلسة. أرحل وأنا أفكر بأنني لن أعود مرة أخرى. أعتقد اليوم أكثر من أي وقت مضى أن التحليل النفسي عادة أرجنتينية عبثية. كما كان بدرو يقول لي. كما كان بدرو يعتقد.

t.me/qurssan

الكلمات

لا أعرف على وجه التحديد موضع النقطة (ج) الشهيرة، والتي يكثر الحديث عنها ولا أهتم بذلك. لديّ قناعة بأن أذنيّ هما أكثر أعضائي حميمية. يمكن أن أستثار من كلمة يقولها رجل في اللحظة المناسبة، تنومني مغناطيسيا وتترك بي تأثيرات رهيبة. نعم، رهيبة، لأن هذه الكلمة الواحدة يمكن أن تغير يومي، حالتي المزاجية، أفكاري، حياتي كلها. عندما بدأت مواعدة بدرو، لم تكن ابتسامته هي التي أغرتني، ولا سحره ولا حسه الفكاهي العالي. في الحقيقة، -والحقيقة في العادة لا تحظى بمصداقية كبيرة، أعلم ذلك- كانت طريقته في الحديث، الحديث معي، مخاطبته لي.

لم يكن هناك شك في أن بدرو كان يمارس عليّ استبداد الكلمات. سمعت منه أحيانا الكلمات الأكثر سحرا والأكثر عذوبة، ولكن أيضا الأكثر جفاءً والأكثر قسوة. لم أقابل أبدًا شخصًا، مثل بدرو، لديه تلك القدرة المخيفة على استخدام الكلمات كسلاح حرب.

لا أحد، باستثناء بولا، والدتي.

t.me/qurssan

تلك المرأة

من الغريب أنني عندما أشير إليها أدعوها دائما باسمها: بولا. من حين لآخر أقول : «أمي». وأحيانا «هي»، ولكن لا أقول «ماما» أبدًا.

لدي مجموعة صور فوق البيانو:

بدرو وأنا نرقص في حفل.

مورينا وهي طفلة.

شقيقتي ميراندا بمريلة المدرسة، وفيونكات وباقة ورود.

بولا، شابة، ترتدي بيكيني منقطًا على بحر البلاتا.

بدرو متنكرًا في هيئة الممثل الكوميدي غروتشو ماركس.

بابا معي ممسكًا بذراعي في حديقة الحيوان.

جميع الصور تشير إلى لحظات مهمة. ومع ذلك من بين جميع الصور تبرز فقط صورة بولا. يبدو أنها تتألق بين الباقين، وكأنها تشع بريقا غامضا. واليوم بعد أن أنهكتها السنون والكحوليات، أجد من الصعب التعرف فيها على المرأة التي كانت جميلة في يوم من الأيام.

عندما التقى بها بابا -حسبما يروي- سَحَرَهُ جمالها في الحال وشخصيتها. كان يقول إنها من تلك النوعية من النساء اللاتي يحبسن الأنفاس، نوع من

t.me/qurssan

الجمال لديه القدرة على التسبب في كارثة. ومنذ وعيت على الدنيا وأنا أسمع الحديث عن جمال بولا، وبالإضافة إلى كل ما قيل، كانت تؤكده الصور الكثيرة التي كانت في منزلنا في بلغرانو.

يبهرني البورتريه الذي رسمه لها الفنان كاريغال وعلقه أبي في حجرة الطعام، فوق المدفأة. حينما كنا نتناول العشاء كانت تلك المرأة بولا في اللوحة تنظر إلى عيوننا مباشرة، من خلال جمالها المتسلط المثير للقلق.

تظهر في اللوحة بكامل جسدها، جالسة على مقعد. ترتدي ثوبًا طويلا، رمادي فاتح مرقش بنجوم زرقاء وفضية، يعطي إيحاءً بثوب متلألئ، وقفازات سوداء حتى المرفقين. تميل برأسها إلى جانب، في بادرة على الرحيل، ممسكة بين يديها بباقة زهور بيضاء. كان جليًّا كيف تمكن كاريغال ببراعته الفنية، من التعبير عن هذا التنائي إلى حد الألم الذي يمتلكه جمال أمي، وكذلك بشرتها الحريرية الملساء.

-بولا، امرأة من لؤلؤ ودخان -كان يقول مسبلا جفنيه، كما لو كان يراها ترحل مبتعدة بين الضباب.

كانت لوحته بدون شك عملا عظيما، على الرغم من أنه منح بولا رهافة لم تكن أمي تملكها. أو لم يكن أحد سواه يراها فيها. على الرغم من أنه ربها، ومن يدري، كانت تلك المرأة بولا أيضا، بولا خاصته، فكل شخص، يصورنا في مخيلته بطريقة ما لا يمكن تكرارها. كانت أمي تدرك أنها مرغوبة، وهذا جعلها محصنة بدرجة ما. كان الرجال يتحدثون ويسقطون مستسلمين تحت قدميها، ليس فقط بسبب جمالها أو سحرها ولكن أيضا بسبب جرأتها. كانت ردود أفعالها غير متوقعة دائما، ويقال إنها كانت امرأة فريدة من نوعها وغريبة الأطوار قليلا. بمرور الزمن تكشفت غرابة طباعها بحدة على حقيقتها: خلل عقلي عميق.

t.me/qurssan

أتذكر كم كان يروقها أن تفاجئنا بتغيير طريقة تصفيف شعرها ولونه. بولا ذات الشعر الداكن. بولا ذات الشعر الكستنائي. بولا ذات الشعر الفضي. بولا ذات الشعر متعدد الألوان. ودائما جميلة. كانت ترى أنه سواء الشعر أو الثياب، ليست إلا إنعكاسا لحالتنا النفسية. وحالتها النفسية كانت أبعد ما يمكن وصفها بالمستقرة.

t.me/qurssan

اللوحة

أيقظنا صراخهما ذات ليلة. كان بابا وبولا قد عادا من حفل في منزل ميغل بايو، نحات شهير من مجموعة الفنانين الذين تتردد عليهم أمي. لم أسمعهما يصرخان على هذا النحو مثل تلك الليلة.

في اليوم التالي، اختفى بورتريه بولا من غرفة الطعام. حسبما قال بابا، كان إطار اللوحة يحتاج لبعض الرتوش، ولهذا السبب وضعها في السندرة. ومع ذلك، لم نعلم عنها شيئا منذ ذلك الحين. وعندما كنا نسأل، ميراندا وأنا عن مصير اللوحة، كان بابا يجيب باقتضاب أن بولا أهدتها إلى إحدى المؤسسات. وكانت نبرة صوته تجبرنا على عدم طرح المزيد من الأسئلة عن الموضوع.

كان ألبرتو كاريغال، أشهر فنان تشكيلي في عصره قد أهداها لها عندما أتمت عامها السادس والثلاثين. كان كاريغال شخصا نحيفا، شاحبا، ذا مظهر معتل، مرتجف اليدين وله عينا فأر. اتسم بالخجل الشديد لدرجة أنه بعد كل أربع أو خمس كلمات يطلق سعالا جافا وكأنه يقدم اعتذارا. كانت عيناه الكابيتان تشتعلان فقط بحضور أمي. اعتاد ارتداء سترات داكنة ذات ياقات عريضة وقمصانا مطبوعة بتصميمات ملونة مبالغ فيها تعبر بقوة عن روح تلك الفترة. ويكاد صوته الرقيق يكون غير مسموع. صوت طفل يغمغم في الظلام بأسرار غير مباحة. كان يراودني شعور أحيانا بأنه سيغشى عليه أو سيصبح غير مرئي.

t.me/qurssan

لسبب ما، بدا لي أن هذا الشخص لا ينتمي على الإطلاق إلى العالم المادي. كان كاريغال على الأرجح واحدا من أكثر عشاق أمي إخلاصا، وتسببت وفاته في إصابتها بشعور بالفقد شديد الإيلام، تركها في عزلة تامة.

أتذكر صوت بولا تشوبه نبرة خطورة وإغراء، وهي تتصل به في أية ساعة لأي سبب تافه.

- آي، عزيزي كاريغال، هل يمكن أن أطلب منك معروفا؟

يهرع كاريغال إلى المنزل على الفور. باسما، سعيدا لأنه كان ذا نفع، حين أحضر كتاب الديكور الذي كانت بولا ترغب فيه، مع دراساته التشريحية، أو ملبيا أيا من نزواتها المعتادة، مثل إحضار آيس كريم النعناع والفستق الذي كان يسيل لعابها من أجله أو السيجار الكوبي الفاخر، الذي كان وحده يستطيع تدبيره في بوينوس أيرس، وكانت بولا تدخنه في مناسبات نادرة حينما يعنّ لها ارتداء ملابس الرجال.

كان كاريغال في كثير من الأحيان يحضر إلى البيت لأي سبب مختلق. ويظل في غرفة المعيشة بينما تستمع أمي إلى الموسيقى أو تقرأ دون أن تعيره أدنى اهتمام، في حين أنه، كعادة العشاق بالكاد يرفع عينيه عنها.

عندما يحضر بابا ويراه محنطا في المقعد بدون أية بادرة على الرحيل، كان يسأله باستخفاف إذا كان يرغب في البقاء على العشاء. فيحمر وجهه خجلا، ويقول بضيق إنه لن يبقى وإنه لا يريد التسبب في إزعاج، ويسعل أكثر من المعتاد، إلا أنه في النهاية يقبل البقاء. يظل صامتا أثناء الطعام ونظراته مثبتة على أمي في حالة من النشوة الصوفية الخالصة. منتبها إلى كل كلمة، كل نظرة وكل لفتة منها.

من وجهة نظر بابا كان كاريغال إنسانا مسكينا. اعتاد أن يقول «إنه

t.me/qurssan

شخص مسكين»، ويستحق الشفقة. ومحل الضيق، كانت هناك نبرة تلذذ أكيدة في طريقة كلامه. أتصور الآن أن تفاني ذلك الرجل من أجل امرأته جعل بابا يثني عليه بطريقة منحرفة.

علمنا ذات ليلة بنبأ انتحار كاريغال من التليفزيون. في الحقيقة كان قد مر وقت دون أن نراه بالمنزل. أخبرتنا بولا بأنه كان في جولة بالشرق الأوسط لعرض أعماله. أفاد التليفزيون أن الفنان الشهير ألبرتو كاريغال عثر عليه ميتا في الفجر. انتحر بإطلاق الرصاص على رأسه لأسباب مجهولة. ترك فقط رسالة لن يُنشر محتواها لأسباب تتعلق بالخصوصية.

أتذكر تأثير الخبر على المنزل. تصلب بولا، عينيها المثبتتين على الشاشة، وفمها الفاغر. نظرة بابا القاسية، وغلاظة صوته وهو يأمرنا بالذهاب على الفور إلى حجرتنا.

t.me/qurssan

الوجه الحجري

ذات صباح، في وقت مبكر، قرع جرس الباب مجموعة رجال في غاية الصرامة، يرتدون بزات داكنة، شعورهم مرجلة بعناية، سألوا عن بابا. ذهبت دِليا لتبحث عنه وعندما عادت من حجرته أخبرت الرجال بأن بابا مُسافر ولن يعود قبل شهرين أو ثلاثة. ولكن هذا لم يكن حقيقيا. كان بابا في الأعلى. عندما رحل الرجال نزل أبي السلم.

كان غريبا، شديد الشحوب.

جلس على مقعد، وظل لعدة دقائق بلا حراك وبعد ذلك أعد كأس ويسكي وشربه على جرعة واحدة، بدون أن يجيب على أسئلة أمي. اقتادته من يده إلى حجرتها، كما لو كان صبيا صغيرا، وظلوا يتحدثون لفترة طويلة. والباب مغلق عليهما.

كف بابا منذ ذلك اليوم عن الذهاب إلى شركته وأصبح يقضي معظم النهار في المنزل، بحجرة مكتبه. تقول أمي إن أعصابه متعبة ونصحه الطبيب بالراحة. ولكن شقيقتي تؤكد أن في الأمر سرًّا. أن أبي يهرب من شيء ما. أو من شخص ما. وأن أمورا غريبة تجري في هذا المنزل.

أمس أو أول من أمس، كنت في المطبخ أعد لنفسي شطيرة، وترامى إلى مسامعي حديث بين دِليا وماريا، السيدة ذات العين الزجاجية، التي تأتي مرة في الأسبوع لكيّ الثياب. تحدثتا في البداية، مثل الكثير من المرات

t.me/qurssan

السابقة عن السكري وعن علاجات الضغط وعن الثوب الرائع الذي تجهزه روسيتا لزفاف ابنتها مابيل. كانتا تتحدثان بصوت مرتفع وتضحكان. بعد ذلك خفضتا نبرة الصوت، لكيلا يسمع أحد، على ما أعتقد. ولكني تمكنت من سماع دِليا تقول إن الأمور تسوء في المنزل. وأن بابا يمر بمشاكل. وأن كل شيء بدأ عندما حضر إلى منزلنا خوسيه، الملقب بالوجه الحجري، وهو سياسي صديق لأمي. وقالت إنها بمجرد ما رأته يحل بهذا المنزل عرفت أنه شخص غير سوي.

- ما إن رأيته حتى شعرت بوخز في أذني. للوهلة الأولى عرفت أنه سيجلب المشاكل (قالت) كان رجلا مشؤوما. مشؤوم مثل الغراب.

t.me/qurssan

ذات مساء في الساونا

أحب فيرا حبًّا جمًّا. وكيف لا أحب شخصا كنت أضحك معه بالساعات؟ علاوة على أنه لم يكن ضحكا تقليديا. كان ضحكا من النوع المعدي. رقراقًا ومنغما مثل الماء. تعارفنا في سن مبكرة، في عمر الطفولة تقريبا. قطعنا المرحلة الثانوية بالكامل معا، تشاركنا ورشة رسم وانضممنا لرابطة اللغة الفرنسية، ودرسنا معا فصل مسرح الكابوكي الياباني، وانتهى بنا الحال أن طردونا شر طردة بسبب ضحكنا في الفصل.

كانت نوبات الضحك علامة مميزة لعلاقتنا. كنا نضحك من المدرسين، من الصبيان، من العاملين ومن أصدقائنا. من كل شيء ومن أي شيء. كانت بولا تقول باحتقار إننا نضحك كالبُلهاء وكانت على حق تماما.

تتسم فيرا بخفة الظل وبسرعة البديهة أيضا. كل شيء فيها سريع: ردود أفعالها، حركاتها، أسلوبها في الكلام، خطواتها الرشيقة. تحب ارتداء الألوان الصاخبة، ولديها القدرة على التألق بخفة في تنورة بنفسجية مع بلوزة خضراء منقطة. أحب ضحكتها، سرعتها وثيابها. بالرغم من ذلك فإن أكثر ما يعجبني فيها ليس سحرها أو خفة ظلها، بل خصلة غير مألوفة أفتقر إليها: موهبتها الفطرية في جلب الحظ.

تعرفتْ في العشرين على سانتياغو إيربارني، محامٍ ثري وجذاب، ينتمي إلى عائلة محافظة من قرطبة، عرض عليها الزواج بعد فترة وجيزة من

t.me/qurssan

تعارفهما. رزقا بطفلين ذكرين، وعيشة هانئة امتدت لفترة طويلة، ولكن منذ عامين، ترك لها رسالة -مثلما يحدث في الأفلام- يخبرها فيها بأنه على علاقة حب بأخرى. كانت هذه هي المرة الوحيدة التي رأيت فيها فيرا تبكي.

يحملنا مصعد صامت إلى الدور الأخير في الفندق. صالون أنيق، بجدران بيضاء، طاولات مستديرة مغطاة بمفارش بيضاء عليها زهريات. يفوح من جدران الصالون عطر ياسمين صناعي. أتطلع من الشرفات الضخمة إلى بوينوس أيرس شامخة تتخللها مساحات خضراء هائلة، تغمرها الشمس. ويتلألأ نهر لابلاتا المترامي بصفحته المائلة للزرقة.

تستقبلنا آنسة مهذبة للغاية، بأسنان بيضاء مصقولة، تنورة قصيرة وحذاء بنعل رفيع، تقودنا للجلوس إلى إحدى الطاولات، بجوار نافذة. يقترب منا أحد النُدل ويسألنا:

- ماذا ستتناول السيدات؟

تصيبني كلمة سيدة بصدمة، مثل المرات السابقة. نحن بالتأكيد سيدات. عندما أرى الفتيات الشابات في العشرينيات أو الثلاثينيات أجد الفرق واضحا. النظرة، البشرة، أسلوب الضحك، كل شيء مختلف. لم نعد شابات، هذا حقيقي، لكن كيف نتوقف عن الاندهاش من ألا نكون كذلك؟ متى نبتعد عن هذه المساحة التي تبدو لنا متلألئة ونتصور أنها خالدة لكي ندلف إلى عالم النضوج الغريب العجيب دائما؟

- اثنان قهوة بالحليب مع شرائح خبز محمص وزبد ومربى -تقول فيرا، بعد أن أقنعتني بأنه ليس التوقيت المناسب للشروع في حمية غذائية.

- هناك كتاب أود أن أعيرك إياه، لوثيا.

يقاطعها النادل.

t.me/qurssan

- هل ترغب السيدات في تناول شيء آخر؟

تومئ فيرا برأسها بالنفي.

- نعم، عصير برتقال طبيعي، من فضلك (أطلب أنا).

عندما يرحل النادل، تخبرني صديقتي بأنها تشعر بالقلق. من ناحيتي. أؤكد لها أنني بخير.

بالرغم من إدراكي أن نبرة صوتي غير مقنعة.

- متى تعود مورينا من الإجازة؟

- الأربعاء.

تسألني إن كنت أشتاق إلى بدرو. وأجيبها بنعم.

- الأمر في أوله صعب، لوثيا. بكاء، ترثين لحالك، وهلم جرا... لكن كل هذا سينتهي. يجب أن تتجاوزي ذلك. إنه مؤلم ولكنه سيزول (كانت تحرك يديها أثناء الحديث كراقصة فلامنغو).

وتابعتْ:

- الزواج ينطوي على ضرر. إنه مثل قصة اليرقة والفراشة التي حكوها لنا، ولكن معكوسة. ندخل ونحن نتصور أنها فراشة بيضاء، ومع الزمن، نتطلع إليها بذهول وهي تتحول إلى دودة.

أحضر لنا النادل صينية عليها كرواسان ساخنة، قهوة تتصاعد أبخرتها وعصير برتقال طازج.

- هل ترغبان في شيء آخر؟

بعد ذلك سيسألنا إذا كان كل شيء على ما يرام، بابتسامة وانحناءة

t.me/qurssan

بروتكولية مهذبة من رأسه. كانت الشابة ذات الأسنان اللامعة المصقولة والحذاء ذي الكعب الرفيع تبتسم أيضا لكل شخص يدخل للقاعة. أشعر بثقل ظلي وإحباطي وسط هذا العالم وناسه المتأنقين الرائعين، حيث الجميع مبتسمون منذ الأزل. الجميع ما عداي.

تأخذني فيرا بعد الإفطار إلى مركز التجميل الصحي في الدور الأول من الفندق. أدرس العروض، وتشمل حمامًا بالبرافين مع قناع الكولاجين، ضمن أسرار أخرى، يستقر رأيي على جلسة تدليك.

تقول فيرا: أنا في انتظارك في الساونا. قبل ذلك سوف أمارس السباحة قليلا. وسرعان ما تختفي من أمام ناظريّ.

تسألني سيدة ممتلئة، ذات ضفيرة وفيرة تمتد إلى خصرها، وحلق بدلايات على هيئة أجراس، وترتدي معطفا ورديا، إذا كنت أريد جلسة تدليك.

- نعم أود ذلك.

- للاسترخاء، لتحفيز الطاقة أم لتقليلها؟

- للاسترخاء.

- حسنا. سوف نستخدم زيت إكليل الجبل مع الخزامى.

أمسكت يدان كبيرتان قويتان بقدمي وأخذتا تدلكانهما بهمة. تراقصت فردتا حلقها وصدر عنهما رنين منغم يتماشى مع حركات يديها. يدان قويتان، دافئتان، متمكنتان. كفان صعبتا المراس. وتهمس الطفلة الخوّافة التي ستظل دوما بداخلي، ويدا خنّاقة أيضا.

- سوف نبدأ بالقدمين. فلنر ماذا تخبرنا القدمين.

أتساءل لماذا تستخدم هذه المرأة ضمير المتكلم بصيغة الجمع بكل هذا

t.me/qurssan

الحماس.

تقول وهي تضغط بأصابعها على مشط القدم: هل يؤلمك هنا؟

- نعم، نعم.

تقول بغموض: بالفعل. وهنا؟

أصرخ. أشعر بمخالب تثقب قدمي.

- الكبد ليس على ما يرام. ممم، والطحال أيضا.

- الطحال؟

- بالتأكيد، لقد اعتدنا نسيان الطحال... استرخي يا ابنتي، استرخي...

تواصل يداها القويتان تدليكي بشغف. أكتشف بينما تغمر كتفي وعنقي بالزيت، مدى جوعي للملامسة. أتذكر مقالا قرأته منذ فترة يقول إن الطفل حديث الميلاد يحتاج للملامسة للبقاء على قيد الحياة.

تركتني المرأة بعد الانتهاء من مهمتها، بمفردي لبضع دقائق في الظلام مع موسيقى ناعمة. فلوت، هارب وأصوات طيور.

تضيء النور عند عودتها وتسألني عن حالي. أخبرها أنني بخير. أفضل. وعندما أشرع في ارتداء روب الاستحمام تقول لي:

- أود ملء استمارة ببياناتك. الاسم؟

- لوثيا أياس.

تسألني عن العمر، العنوان، المهنة، البريد.

- الحالة الاجتماعية؟

أخبرها بأنني انفصلت منذ فترة وجيزة.

t.me/qurssan

تقول: منفصلة.

يردد صدى صوتي: منفصلة. يبدو وقع الكلمة بشعًا. إنها بشعة.

- حسنًا لوثيا، فرصة سعيدة، المرة القادمة سنستخدم زيت البرجاموت. تمد يدًا بها آثار الكريم.

أعثر على فيرا في الساونا. الحر خانق. أخبرها بأنني لا أعلم إن كنت سأستطيع تحمله وأن آخر مرة جئت فيها كانت منذ سنوات بعيدة بصحبة أمي التي كانت تعشق الساونا.

تقول فيرا: أفضل الساونا عن جلسة علاج. لا أعتقد يا لو أن العقل يعالج بالعقل. بهجة الجسد فقط بوسعها علاجنا. تتخلصين هنا من المواد السامة، الملل، الغضب. وأفضل شيء الجمع بينها وبين الدش البارد. لا أدري إن كنت قد عرضت عليك كتاب العلاج بالماء البارد، لشخص يدعى كاربيو. هل أعرتكِ إياه؟

- لا.

- المؤلف من تشيلي، تلميذ لطبيب ألماني كبير من أوائل القرن كان يقول إن سبب كل الأمراض يرجع إلى ظاهرة كان يطلق عليها «الحمى الداخلية» -احترار في الجهاز الهضمي- ولهذا كل شيء يمكن علاجه بالماء البارد. وسيكون من المثالي النوم بكمادات طين فوق البطن.

يتزايد شطط الكتب التي توصيني بها صديقتي في كل مرة. إلا أن لديها قدرة هائلة على إضحاكي.

كنا ثلاثة فقط في الساونا. امرأة ضخمة بلون الحليب، فيرا وأنا. وجدت صعوبة في التطلع إلى تلك المرأة، كما لو كنت منومة مغناطيسيا من تأثير قبحها. كانت أشبه بدجاجة بيضاء بأثداء متهدلة مفرطحة مثل أكياس

t.me/qurssan

ودوالٍ متضخمة في ساقيها. كنا فيرا وأنا ملفوفتين في المناشف. على العكس كانت هي عارية تماما. كان هناك أمر مستفز في استعراض عريها. أمر سادي، وحشي.

أشعر بعد برهة باختناق. الحر شديد بشكل متزايد. أذهب إلى صالة الاسترخاء. تخرج المرأة خلفي. نجلس نتمدد على طاولتين متقابلتين. غلبني النعاس في الصالة الغارقة في الظلام. يزعجني صوت المرأة بنبرته الجافة.

كان بدرو يؤكد أن الصوت أكثر شيء كاشف في الإنسان، ذلك الجسر الهش بين الجسد والروح. مثله، كانت بعض الأصوات توحي إليّ بالود للوهلة الأولى، بينما تصيبني أصوات أخرى بالنفور، انعدام الثقة أو الخوف. أما صوت هذه المرأة فقد أفزعني. بها شيء غامض.

تطلعت إليّ بإلحاح بعد احتساء كوب الماء بصوت مزعج، ثم تكلمت في النهاية:

- هل هذه أول مرة تأتين فيها إلى الساونا؟

- لا، ولكن لم آتِ منذ فترة.

فحكت لي هي أنها تأتي كل أسبوع بناء على توصية من الطبيب بسبب مشاكل في الشعب الهوائية. أخبرتني أيضا عن كفاحها للإقلاع عن السجائر. ضغطها المرتفع. مشاكل الأوعية الدموية وعملياتها الجراحية.

لا أحب الحديث مع الغرباء وخصوصا هذه المرأة. يصيبني صوتها بنوع من الإزعاج. أغمض عيني وألوذ بالصمت لكي أجبرها على السكوت. لم يجد ذلك.

- هل يضايقك لو رفعت التكليف بيننا؟

t.me/qurssan

- لا.

- شعرت حين رأيتك للوهلة الأولى بنوع من الألفة تجاهك. شيء من ابنتي... لا أدري، ربما من النظرة.

تحلت بالصمت للحظات نادرة، ثم سألت:

- هل أنت متزوجة؟

- لا.

- ماذا حل بنساء اليوم. يتزوجن بمنتهى السهولة، وينفصلن، يتزوجن وينفصلن، كما لو كانت لعبة. ابنتي ليست على ما يرام مع الزوج. إنه شخص عديم النفع، نطع. ورث عن والده شركة منسوجات ولم يكن جديرًا على الإطلاق بإدارتها. أصبح لا يحتكم الآن على بيزو واحد.

تتوقف لبرهة.

- لكن هناك أولاد... ويجب التفكير في الأولاد. ولكن أخبريني يا حبيبتي، هل لديكِ أبناء؟

- نعم، ابنة...

تحملق فيّ باستغراب. تتهمني عيناها بالذنب.

- هل كانت أحوال زوجك متيسرة؟

- ميسورة للغاية.

- هل كان عنيفا؟ مدمن خمر؟ -تجفف العرق من على شفتها العليا ثم تضيف هامسة: هل كان يا ابنتي مدمن مخدرات؟

- لا، لا شيء من هذا.

t.me/qurssan

- هل كان على علاقة بأخرى؟

- لا، لا أعتقد.

- على أية حال يا حبيبتي، من المعروف أن الرجل زير نساء. إنه أمر في الجينات. المهم أن يحترمك، وألا يقيم علاقة مع شقيقتك، أو أعز صديقاتك أو مع الشغالة. وما عدا ذلك، فليفعل ما يحلو له. تتصنعين البلاهة وانتهى الأمر.

تتجرع رشفة ماء أخرى ثم تجفف فمها بطرف المنشفة، ثم تقول:

- لماذا انفصلت، إذن؟

t.me/qurssan

عدة أسباب

- ولماذا انفصلت إذن (رن صوتها).

تردد صوتها وكأنه صدى بداخلي. أفكر في الأمور الصغيرة والكبيرة التي تسببت في انفصالنا.

انفصلت لأنني سئمت.

لأنني كنت أعيش مسحوقة تحت وطأة انتقاداته. لأن كل ما كنت أفكر فيه كان يبدو له تافهًا، وكل قراراتي خاطئة، وكل ما يروقني بشعًا. انفصلت لأنه كان يستيقظ في حالة مزاجية سيئة للغاية، وكنت أنا هدفه المفضل، لأنه لم يكن ينظر إليّ حين يتحدث، لأنه كان يسخر دائمًا من فيرا، ولأنه كان يعامل النُّدل بطريقة سيئة، ولأنه كان يكرهني عندما أصاب بألم الرأس، ولأنه كان يضجره أن أنام والنور مضاء عندما تهب عاصفة.

وماذا عن بدرو؟ ماذا تتصورين أن يكون رده؟

ربما يقول بدرو إنه قد أصيب بالضجر. إنه لم يعد يتحمل طلباتي. إنه ملّ من نحيبي وشكواي، وإن حواراتنا تنتهي دائما بصراخي، إني فقدت الاهتمام بأموره، وإنني لا أنصت إليه عندما يحدثني، وإنه ضجر من إهمالي، من مخاوفي الطفولية، من افتقاري للكياسة، من حبي للهاتف، ومن ضياعي الدائم للمفتاح، ومن أنني أعيش في عالم آخر. ولهذا انفصلنا. على ما أعتقد. أو ربما لأن فترات صمتنا كانت كل مرة أكثر طولا، ولأن عطلات نهاية

t.me/qurssan

الأسبوع كانت تمر علينا كدهر، ولأننا كنا وحيدين، ولأننا لم نعد نمارس الحب، ولأنه بات يشبه أمي، ولأنني لم أكن أشبه أمه، ولأننا لم نعد نتشارك الأحلام وتوقفنا عن الضحك معا.

لم يقل صوتي سوى:

- كنا نتشاجر كثيرا.

t.me/qurssan

ألم الرأس

تعاني نساء عائلتي من آلام حادة في الرأس، تطاردنا كوصمة عار من جيل لجيل. إنه الكارما الخاصة بنا. أصاب ألم الرأس جدتي دورا، أمي، الخالة كلاريتا، شقيقتي ميراندا وأنا. إنه صداعنا النصفي المخيف. تحل نوبات الصداع النصفي على غير انتظار. مخيفة لرؤسائنا، أزواجنا، جيراننا، أصدقائنا وأبنائنا. صداع نصفي (ميغرانيا) مثل سمك البيرانيا، تنهش أجسادنا وعقولنا وترغمنا على البقاء في عزلة، في ظلام وفي صمت.

يبدو أن الصداع في الغالب علة نسائية. ربما كان وسيلتنا لهروب الجسد. فنحن النساء عندما نصاب بألم الرأس، نهرب من العمل، من الجنس ومن الزواج ومن الأمومة. ننسحب لبرهة من العالم منعزلات في الظلام الصامت لحجرتنا.

بدأ الألم، أمس بينما كنت أعطي درسا لأندريس أحد طلابي. كان في البداية وخزة صغيرة في العين اليمنى وألمًا خفيفًا في العنق، ولكن لم أهتم. ظننت أنه بسبب توعك أو إرهاق. أو بسبب قصته. فبالإضافة إلى مشاكل أندريس الإيقاعية وعجزه عن تمييز مازورة موسيقية من ثلاث في أربع نوتات، ويبدو أن هذا لا يندرج ضمن إمكاناته السمعية، فرض عليّ ذلك المساء سماع قصة مملة ومطولة. كيف تعرّف على رفيقته العاطفية: أناليزا. أدهشني أكثر، بينما كان يحدثني عنها -وكان يشير إليها بعذوبة كبيرة وكأنها

t.me/qurssan

مخلوقة من شراب العسل-، من كلامه، طريقة تبدل سحنته. تحول حقيقي.

الحب، مثل الصور القديمة، يصدم أحيانا من يعيش فيه، ولكن ليس كل من اقترب يستطيع مشاركة تلك الصدمة. للتوصل لفهم هذه الحالة من النشوة، البهجة، أو الجنون، من الضروري التواجد داخل تلك الدائرة الذهبية. وكان كل كياني بعيدا عن حالة تألقه.

اشتد الألم عندما رحل. تناولت أقراص ميغرانيل من حقيبة يدي، ورقدت والأنوار مطفأة.

t.me/qurssan

القبلات

- لوثيا؟

- ماذا؟

- هل نمتِ؟

- لا.

- هل أحكي لكِ شيئا؟

- كم الساعة الآن؟

- متأخرة.

- آه، حسنا. لن أحكي لكِ.

- ليس الآن، اتركيني أنام.

- حسنا.

جعلني شيء ما في صوت شقيقتي أتصور أنها كانت تبتسم. تخيلت أنني أرى أسنانها تضيء ظلام حجرتنا.

- ماذا هناك؟

- دعكِ. سأحكي لكِ غدا.

t.me/qurssan

- لا، الآن.

انتظرت بضع لحظات قبل أن تجيب.

- كنت مع توماس.

- ثم؟

توماس صبي المكتبة على الناصية. كان يساعد أمه، صوفيا، في المحل، وهي إيطالية نحيفة عجفاء، كغصن شجرة تفوح منها رائحة القهوة والتبغ والعرق. كنا ميراندا وأنا نندهش بقوة لأن لديها تلك الرائحة وشعرًا في ساقيها وأسفل إبطيها. كان توماس يمضي الوقت في القراءة بتركيز شديد حينما لا يكون هناك الكثير من الزبائن. ونادرا ما يرفع رأسه عن الكتاب.

لم تعدم ميراندا حجة للذهاب إلى المكتبة. كانت تقول: لقد نفدت أقلامي الرصاص. أو: أحتاج عبوات حبر لمحبرتي. أو: سأعود في الحال، سأشتري ممحاة. ومن ثم تنضو عنها الزي المدرسي، وتظلل رموشها بالرميل وتطلي شفتيها بمعجون لزج ولامع برائحة الفواكه، ونظرا لأنها بدأت تستعمل حمالات صدر فكانت تنتقي قمصانا أو بلوزات شفافة لكي تظهرها.

- هل تُرى؟ -تسأل وهي تنحني.

- نعم.

كم أثارت حسدي بحمالات الصدر تلك المطرزة بالدانتيل والتي كانت تحتفظ بها بحرص في صندوق مستدير وردي اللون!

كانت تسقط على السرير متمددة على ظهرها، وتقول بصوت مخملي شبيه بصوت غريتا غاربو:

- «*I want to be alone*».

t.me/qurssan

ثم تبدأ بالحديث دائما عن توماس. تمتدح شعره -تلك الخصلة التي تسقط على جبينه-، عيونه السود، وما تطلق عليه هي: شخصيته. كانت تقول إن توماس لديه «قوة شخصية» لأنه كان دائم الصمت ولم يكن ودودا مع أحد. علاوة على ذلك، أعتقد أن صمته كان أكثر شيء يجذبها لأنه كان يتيح لها تشكيل توماس وفق مزاجها.

- هل كنتِ معه؟

- نعم، سبق أن أخبرتك.

- أين؟

- مررت بالمكتبة بعد المدرسة لتصوير بعض المستندات وأخذنا ندردش كثيرا. كلفته أمه بإغلاق المحل لأنها كانت مشغولة. ولهذا دعاني لتناول آيس كريم وبقينا معا لفترة طويلة.

- وماذا قلتِ لماما؟

- قلت لها إنني كنت عند كلاوديا.

- احذري أن يراكِ أحد.

- لا تكوني ساذجة يا فتاة. وقتها سأقول إنه زميل من المدرسة. علاوة على أن ماما لا تسأل. لا تهتم.

- حسنًا، أكملي. وماذا بعد؟

- أخبرني بأن لديه خمسة عشر عاما ونصف وليس لديه أشقاء. جاء مع والدته إلى الأرجنتين حينما كان صبيًّا صغيرًا. كان يعيش في بادوفا، مدينة إيطالية. قال لي إنه لا يذكر شيئا عن إيطاليا، باستثناء أريج زهور بنفسجية بحديقة منزله ووجه جده المعوج الذي ألم به مرض وظل مشلولا على مقعد

t.me/qurssan

مدولب. يقول إنه لا يعرف أبيه. لم يره مطلقًا. وأن أمه لم تحدثه عنه مطلقًا مطلقًا. إنها أم بلا زوج.

- أم عزباء؟

- نعم. مسكينة.

- آي، مسكينة.

- كما أخبرني بأنه سوف يصبح كاتبًا. أعارني كتاب خيال علمي وأهداني قصيدة من تأليفه.

- كتبها من أجلكِ؟

- نعم.

- جميلة؟

- نعم... حسنًا. تتحدث عن حفر القمر وأشياء من هذا القبيل.

- هل يمكنني قراءتها؟

- لا. غدًا. بالإضافة إلى أنكِ لن تفهميها. يستخدم كلمات كُتّاب صعبة في الكتابة. ذهبنا بعد ذلك لنتمشى وقال لي إنه معجب بي كثيرا.

- كيف قالها لكِ؟

- قال ماذا؟

- أنكِ تعجبينه.

- هكذا... إنني أعجبه كثيرا -توقفت لبرهة، ثم أضافت- ثم قبّلني.

- قبّلكِ؟

t.me/qurssan

- نعم.

أضأتُ نور الأباجورة. وكما تخيلت، كانت ميرندا تبتسم. ازدادت جمالا في الآونة الأخيرة، أصبحت أكثر أنوثة، كما كان يقول أبي. لكن تلك الليلة، بدت أكثر جمالا من أي وقت مضى. انسدل شعرها في تموجات على كتفيها العاريين، تألق بريق عينيها وتوهجت وجنتاها. كانت متألقة.

- نعم. قبلني.

منذ وعيت على الدنيا، كنا، ميراندا وأنا مفتونتين بموضوع القبلات هذا. وعندما كانت دِليا تقرأ لنا قصصا قبل النوم، كنا نتعجب من قوة تلك القبلة التي يمنحها الأمير لفتاة «الجميلة النائمة» في الغابة والتي تستعيدها من الموت. أتذكر أننا كنا نحبس أنفاسنا ونحدق بأعين مفتوحة على اتساعها أمام شاشة التلفاز. إلى أن يأتي، أخيرا، مشهد القبلة.

ذات مرة سألت بابا لماذا يتبادل العشاق القبل في الفم ونحن لا. اتخذ مظهرًا جادًا، وبعد طول تردد، قال لي إن تلك القبل هي بوابة الغرام. بدت لي إجابة مقلقة للغاية، قادتني إلى عالم أسرار لا يمكن فك شفرته.

أحيانا، كنا ميراندا وأنا نغلق علينا باب الحمام لكي نتدرب. قررنا في البداية ما هو نوع القبلة الذي سوف نتدرب عليه -كنا قد أعددنا تصنيفا متكاملا-، بعد ذلك نطلي شفاهنا بالأحمر القاني ونجرب بتقبيل أنفسنا في المرآة. وعندما لا يكون هناك أحد في المنزل، كنا نخرج من خزانة ملابس أمي بعض هياكل رؤوس تستخدمها لتعليق مجموعة مقتنياتها من الشعر المستعار والباروكات. كانت هياكل رؤوس بلا وجه -رؤوس غامضة صلعاء!-، فكنا نرسم لها عيونًا، وحواجب وشوارب، ونحولها لعشاقنا.

لدينا مخزون كبير من القُبل. قبلات قصيرة: مجرد تلامس شفاه -تلك

t.me/qurssan

التي يتبادلها الأزواج، بصفة عامة، في المسلسلات الأمريكية-، والعميقة، وقُبل أزواج الحمام، وقُبل صامتة، وطويلة، وممتدة، وقُبل مع حركة الرأس، وبدون حركة الرأس، قُبل بأعين مفتوحة، وبأعين مغمضة، قُبل بانفعال، قُبل لاهثة، قُبل مسروقة، مفاجئة، ناعمة، ملتهبة، والكثير غيرها.

كانت هناك أيضا قُبل -كيف أصفها؟- تفزعنا كثيرا، لأنها لم تكن تنتمي لبوابة الغرام التي تحدث بابا عنها... قبلات محمومة إلى حد كبير، لا تشاهد إلا في أفلام بعد منتصف الليل. يتبادل فيها الأزواج العض، التأوه وجذب الشعر. كانت هذه، دون شك، الأكثر إرباكا.

- ما نوع القبلة التي منحكِ إياها؟ -سألت وكأني أهون من الأمر.

فكرت بضع لحظات، ثم قالت:

- قبلة طويلة... رقيقة بعيون مغمضة. -وأضافت: باللسان.

حسبت أنني لم أستمع جيدا.

- بماذا؟

- باللسان.

انعقد لساني. لم نتحدث مطلقا عن القبلات... باللسان. قلت بصوت منخفض:

- يالقرف

- أنتِ لا تفهمين. ما زلت فتاة صغيرة. العشاق في الحياة الحقيقية يتبادلون القبل على هذا النحو.

- باللسان؟

- نعم.

t.me/qurssan

لذت بالصمت لبضع لحظات.

- وهل أنت عاشقة؟

- بالتأكيد.

- وكيف عرفتِ؟

- لأنني أشعر بهذا داخلي -قالت بهدوء.

أطفأت الأباجورة بعد ذلك مكررة أنني فتاة صغيرة على فهم بعض الأمور.

بحثت في اليوم التالي عن معلومات في موسوعة كانت في مكتبة غرفة المعيشة. يورد أحد المجلدات بالتفصيل قصة القبلة في الثقافات المختلفة. ومرفق مع النص صورة كبيرة لتمثال القبلة لرودان وصورة فوتوغرافية لشخص يدعى دوينو، ينظر فيها لحبيبين يتبادلان القبل في الشارع.

تشرح الموسوعة أن القبلة العاطفية تستغرق دقيقة تقريبا وأنها تحدث «ثورة» فيسيولوجية حقيقية. فعلى ما يبدو، أنه مع الاتصال عن طريق الشفاه تبدأ عملية تحرر لعوامل محفزة تؤدي لإفراز الهرمونات بصورة أكبر. تنطلق من منطقة تحت المهاد في المخ وتمتد إلى الغدة النخامية، والتي تحفّز بدورها باقي الغدد. تفرز الغدة الدرقية هرمون منبه الدرقية، وتنشط الغدة الكظرية عملية التخلص من الكوليسترول والنورادرينالين، كما يزيد البنكرياس أو يقلل من معدلات إنتاج الإنسولين، وتطلق المبايض العنان للإستروجين والبروجسترون، وفي الوقت نفسه تفرز الخصيتان كميات أكبر من هرمون التستوستيرون. يسرع القلب إيقاع نبضاته من 60 إلى 150 نبضة في الدقيقة. وأما بخصوص العضلات المشاركة في الفعل، فتضيف الموسوعة أن القبلة الواحدة تنشط على الأقل 29 عضلة في منطقة الفم والوجه. وأكثرها نشاطا

t.me/qurssan

هي: عضلات الوجنتين والجفون والفم.

ولكن ما جمد الدم في عروقي كان الفقرة التي تتحدث عن التقبيل على الطريقة الفرنسية. تقول الموسوعة إنها واحدة من أكثر أشكال التقبيل إثارة، ويلعب فيها لسان العاشقين دورا محوريا. وتوضح أن هذا العضو ينقل أحاسيس للقشرة الدماغية من خلال الأطراف العصبية ويحفز إفراز اللعاب عن طريق الغدد تحت الفك السفلي وتحت اللسان. يتبادل الأشخاص مع اللعاب، العديد من المواد: 0.45 ملج من الماء، 7 ملج من الزلال، و0.71 ملج من الدهون، و0.45 ملج من الأملاح المعدنية، بالإضافة إلى 278 مستعمرة للخلايا البكتيرية.

صليت تلك الليلة.

كانت دِليا شديدة التدين وعلمتنا أبانا الذي في السماء والسلام عليكِ يا مريم، كانت تقول إنه من المهم كل ليلة، بالإضافة إلى أداء الصلوات أن نشكر الرب. وبعد الشكر، يمكن أن نطلب منه ما نريد، وسوف يحققه لنا، ولكن يجب شكر الرب أولًا.

يارب -قلت تلك الليلة- أشكرك على كل شيء، وأيضا لأنني لم أستخدم حمالة صدر حتى الآن. أنت كريم، ولكن أتوسل إليك أن تعتقني من قبلات العاشقين لأطول فترة ممكنة. شكرا.

t.me/qurssan

مسكنات

لدي ثلاثة مسكنات للاكتئاب: شراء ثياب، التهام الشوكولاتة، وقراءة المجلات النسائية. أشارك الكثير من النساء متع الشوكولاتة والثياب. أخجل من إدماني على المجلات التافهة، وكانت بولا، أمي، بصورة ما هي السبب في ذلك. إنه نوعا ما تمرد محدود وسري. تمرد عليها وعلى «عشقها للفنون والثقافة». لم تهادنا مطلقا في عيد ميلادنا «نساء صغيرات»، «أبي طويل الساقين» أو «آنا في البراري الخضراء»، تلك النوعية من القصص التي كنت مولعة بها وكنت أقرأها سرا في منزل صديقاتي وفي الخفاء، كما لو كان الأمر يتعلق بوجبة محرمة، لأن بولا لم تكن لتسمح بذلك مطلقا. بالنسبة لها كل ما ليس من أعمال شكسبير، تولستوي أو ديستويفسكي، كان في نظرها مضيعة للوقت، تبجيلًا للغباء «يشوه عقلنا».

ولم تكن شقيقتي قارئتها المثالية. كانت ميراندا تستمع بقراءة روايات الكوميكس مثل أرتشي، لولو الصغيرة، سوبرمان، سوزي، أسرار القلب. إلى أن اكتشفت بولا ذات يوم كنزها. ما زلت أذكر وجهها المفزوع:

- يالي من مسكينة، رزقت بمعتوهتين.

في بعض الليالي، حينما تكون أمي في المنزل -وهو أمر غير مألوف- كانت تجلسنا على مقاعد غرفة المعيشة وتقرأ علينا أشعار لوركا.

كانت تقرأها بصوت أكثر غموضا من صوتها، مختلف، شبه مصطنع.

t.me/qurssan

كانت تعرف كل قصائد «فيدريكو» -كما كانت تدعوه وكأنهما صديقان حميمان. وتلقيها من الذاكرة، دون أن تخطئ مطلقا، كما لو أنها محفورة في عقلها.

قبل الإلقاء كانت تجهز الأجواء كما لو كانت في عرض مسرحي. تطفئ الأنوار، توقد شموع الشمعدان الفضي على طاولة غرفة الطعام، وهو ما كان يضفي على الغرفة جوا روحانيا، وتطلب منا بعد ذلك تشغيل أي من أعمال مانويل دي فايا كخلفية موسيقية.

أتذكرها في ثوب طويل من الشيفون الوردي الفاتح البديع مع وشاح حريري بنفسجي كانت تلفه لا إراديا مع إلقاء الأبيات.

يا لجمال تطريزها! ياللروعة!

على نسيج بلون القش

كانت ترغب في تطريز

شيء من مخيلتها.

يالها من زهرة عباد شمس! يالها من زهرة ماغنوليا

بالترتر والأشرطة!

يالها من زهور زعفران

ويالها من أهلة

على مفرش القداس!

تنضج خمس نارنجات

في المطبخ القريب.

كنا ننصت بنشوة صافية، في صمت مطبق، على قناعة بأننا ابنتا فنانة عظيمة. الأكثر جمالا وموهبة بين النساء. أفكر اليوم، عن بعد، أن أسلوبها في

t.me/qurssan

إلقاء الشعر كان مزيفا ومصطنعا. على أية حال، كانت لديها القدرة على أن تولد فينا، وفي بابا أيضا، نوعًا من السحر كان يتركنا متجمدين.

بالعودة إلى المجلات النسائية، اشتريت في تلك الأيام واحدة تعليمية بحق: «أسرار بلوغ الذروة»؛ تقنيات واستراتيجيات لزيادة قدراتك على الاستمتاع: «سوف يتزوج رفيقي العاطفي السابق»؛ إذا كان الخبر صادما بالنسبة لكِ، تجاوزي الأمر، نحن سوف نخبركِ كيف تفعلين ذلك؛ هل أنتِ وحيدة؟ سوف نعطيكِ 30 نصيحة لكي تلقي بالاكتئاب من النافذة وتتفرغي لحياة جديدة.

يجب الاعتراف بأن مجلاتي التافهة لديها حكمتها. اتبعت بعض نصائحها. عدلت أماكن أثاث غرفتي وغرفة المعيشة. غمرت المنزل بالنباتات والزهور. احتفظت في حقيبة بكل ما نسيه بدرو في المنزل. أبعدت عن مجال بصري تلك الصور التي كانت ستجعلني أتذكر لحظات سعيدة أو مؤلمة. ألقيت، تحت إلحاح فيرا، كل المتعلقات المجلوبة من البحر. «إنها تجلب سوء الحظ، لوثيا» أكدت فيرا. غيرت بالتأكيد طريقة قص شعري. بدأت حمية غذائية بدون سكر أو منتجات ألبان أو جلوتين. اقتنيت ثيابًا لم يسبق لي شراء مثلها من قبل. عدت للساونا. أكثرت من جلساتي العلاجية. واقتنيت لنفسي قطة. «بابا» هو اسم القطة السيامية الصغيرة ذات اللون الرمادي اللؤلؤي. تعشق تدمير نباتات الشرفة، وشحذ مخالبها في بطانة المقاعد وإيقاظي بموائها ليلا، في اللحظة التي أكون قد تصالحت فيها تماما مع النعاس. ومع ذلك فإن قطتي «بابا» العسل، لديها إيجابيات كثيرة. أعشق أقدامها السوداء التي تبدو كقفازات، نظرتها الصافية، مثل السماء وطريقة تحركها. وبصفة خاصة، أشعر بارتياح عندما أعود إلى المنزل وأستشعر إلى جواري نبض تلك الحياة الشابة.

t.me/qurssan

مورينا

أدركتُ كم كنت أفتقد ابنتي، عندما وجدت مورينا أمامي. بدا لي أنها كبرت، وازدادت طولا بشكل مذهل. كانت شديدة النحافة، أكثر طولا، وأكثر سمارا. احتضنتها.

- ماما، أنت تكتمين أنفاسي.

- ابنتي، توقفي عن النمو.

إنه أمر لا يصدق، كيف نكرر على الدوام نفس الجمل الفظيعة التي نسمعها من الآباء البشعين. من المستحيل الفكاك من ذلك القدر المحتوم.

- توقفي عن النمو أرجوكِ -يكرر الوحش الأناني الكامن بداخلي، مرعوبة من أن تسرق مني طفولتها.

تكتشف القطة «بابا» بينما أطوقها بذراعي الحديديتين، تقترب بحذر في ظل وجود شخص غريب بالمنزل.

- آي ياله من قط رائع. هل هو قطنا؟

أومئ بالإيجاب.

- ياله من رائع! يا أمي -تردد رافعة صوتها بتلك النبرة الحماسية المميزة لها- ما اسمه؟

t.me/qurssan

- «بابا». وهي أنثى.

- «بابا»؟ (تردد طفلتي بصوت مرتفع، منفجرة في الضحك) ما أغربه من اسم... «بابا»؟

- نعم، «بابا».

- إنها جميلة يا أمي -تقول رافعة إحدى يديها عند صدرها بحركة مسرحية.

أفكر أحيانا أنها ورثت التكلف عن بولا. أخبرتني منذ عدة أسابيع أنها تريد أن تصبح ممثلة وأن تمثل في السينما. وأضافت، وتلقي القصائد، مثل الجدة بولا. أفزعتني فكرة أن تكون تشبهها؛ ومع ذلك، كل ما أمقته في أمي، يبدو لي في ابنتي رائعا ومحببا.

بعد إطعام «بابا»، تناولنا الغداء معا. أعددت لها غداءها المفضل: كوكا كولا، بطاطس بالبيض المخفوق، وللتحلية سلطة فواكه بالكريمة. حكت لي عن روعة رحلتها مع الوالد.

- بابا اصطحبني للتنزه في الغابة. لا تتصورين مدى روعة أشجار الصنوبر، ماما، بجوار الشاطئ. أشجار صنوبر عالية جدا جدا جدا... جمعنا أصدافا على الشاطئ. عثرنا على واحدة ضخمة، لونها وردي، حلزونية، تضعينها على أذنك فتجدين بداخلها البحر وضجيج الأمواج.

- ياللروعة.

- ذهبنا في يوم آخر لتناول الآيس كريم في مكان رائع، وكان هناك شباب يعزفون الجيتار والباندونيون ويغنون أغاني بالفرنسية.

- وماذا فعلتما أيضا؟

t.me/qurssan

- اصطدنا في يوم آخر سمكة حساس. لا... لم تكن سمكة حساس، بل سمكة وردية.

- سالمون.

- نعم، هذا هو. سالمون. وقاموا هم بشيها مع بطاطس في ورق مفضض.

- آه. من هم؟

- أصدقاء بابا. لأن تلك الليلة كانت عيد ميلاد أندريا، صديقة بابا.

- أندريا؟

- فتاة تغني.

- آه.

- نعم، تغني. رائعة الجمال. تعقص شعرها من هنا ولديها قرط في الصرة ووشم زهرة على الكتف.

- واحتفلتم بعيد ميلاد أندريا؟

- نعم، أعدوا لها كعكة وأطفأوا شموعا.

- ياللروعة.

- نعم، وغنى لها الجميع سنة حلوة يا جميل، وأطفأت هي الشموع.

- أطفأت أندريا الشموع.

- نعم.

- كم شمعة؟

- إيه... لا أدري. كثيرة، لا أتذكر. بعد إطفاء الشموع، شربنا نخبًا

t.me/qurssan

وغنت هي تانغو فهي ممثلة وتغني.

– حسنا (أقاطعها) احكي لي لاحقا. أكملي تناول التحلية من فضلك. يجب أن نذهب لزيارة بولا.

t.me/qurssan

الضوء يضايقني

صاحت دِليا:

- سنيورا لوثيا، مورينيتا، ما أجمل رؤياكم. كم كبرت مورينا وصارت رائعة!

بالإضافة إلى أنها كانت تعمل لدى والديّ منذ نحو أربعين عاما، كانت دِليا مربيتنا، ميراندا وأنا، ونحن صغار. كانت تحممنا، وتلبسنا ثيابنا قبل الذهاب إلى المدرسة. وكانت هي التي تساعدنا على إنجاز فروضنا المدرسية، وتعد لنا حمامات البخار عندما نصاب بنزلات البرد، وهي التي تهدئ نوبات غضبنا، وتبدد مخاوفنا. كانت يداها النحيلتان والداكنتان مثل فرعي شجر جافين، تداعبان الآن رأس مورينا.

أفكر أن تلك اليدين المعروقتين والحانيتين، كانتا على الأرجح للمرأة الوحيدة التي داعبتني في طفولتي. لا أتذكر أن تكون بولا قد داعبتني. أو قد داعبت ميراندا. وفي الحقيقة، لا أعتقد أن يدي بولا داعبتا أحدا على الإطلاق.

عكصت دِليا شعرها على شكل كعكة مثالية غطتها ببونيه رمادي. إنها تصفيفة شعر بسيطة، متقنة وعتيقة مثلها تماما. يروقني شعرها، ناصع البياض، يكاد تشوبه لمعة مائلة للزرقة. كان هذا البريق الأزرق يبهرني في

t.me/qurssan

صغري. أكدت لي ميراندا أن شعر جنيات الحواديت هكذا، بنفس لون القمر. وكنت أستمع إليها مسحورة، أتخيل تلك النساء المجنحات وخصلات الشعر اللامعة المصنوعة من ضوء القمر الأبيض المائل للزرقة. توسلت إلى الرب، أكثر من مرة في صلواتي أن يجعلني ألتقي بتلك الجنيات ذات الشعر الأبيض ولو مرة واحدة.

لا أعلم كم عمر دِليا الآن. أعلم أنها امرأة عجوز، وربما مسنة. الطريف أنني أتذكرها على هذا النحو منذ الأزل، وكأنها لم تكن شابة مطلقا. لطالما تصورت أننا جميعا، وبطريقة ما، نولد ونموت بعمر ثابت، يتجاوز أبعد بكثير ما يقوله التقويم، ونبقى على هذا الحال، بالروح التي تتناسب مع ذلك العمر، على الرغم من أن الجسد يُظهر لنا علامات أخرى. كانت دِليا دائما امرأة كبيرة في السن. وما تزال ترتدي نفس الزي الأسود وعليه فوطة مطبخ بيضاء منشاة، والذي كانت تستخدمه في منزلنا القديم في بلغرانو، مع جوارب بيضاء وحذاء برباط ونعل مطاطي. صوتها بطيء ومنهك إلى حد ما.

أسألها عن والدي.

- يبدو أن السنيور على وشك الوصول. خرج للتمشية قليلا. السنيورة بولا في حجرتها تستريح قليلا. تشعر السيدة أنها ليست على ما يرام -هزت رأسها- مسكينة سنيورة.

تحب دِليا أمي. ستظل بولا بالنسبة لها دائما تلك المرأة التي كانت جميلة وساحرة في أزمنة سابقة. وصلنا الحجرة فطرقت دِليا برقة الباب المغلق:

- سنيورا بولا، ابنتك لوثيا هنا.

يرد صوت أجش:

- فلتدخل.

t.me/qurssan

كانت الحجرة غارقة في الظلام. النور مطفأ والستائر مسدلة. تفوح رائحة سجائر، عطر غالي الثمن وكحول. عبق أمي. رائحة أعرفها جيدا. رائحة أمقتها. كانت ترتدي غلالة شفافة وتغطي عينيها وجبهتها بمنديل مبلل. كانت هناك صورة لها على الطاولة المجاورة للفراش، مبتسمة، ترتدي تنورة واسعة بيليسيه، وبلوزة مكشوفة الكتفين. هناك أيضا دورق به ماء وثلج وعبوتا دواء بهما أقراص حمراء. قالت ببطء

- الصداع.

أومئ متفهمة، على الرغم من أن كلانا يعلم أنه ليس صحيحا.

تبدو على عينيها آثار مكياج أسود، وهو ما يؤكد انتفاخ جفونها المائلة للاخضرار وشحوب وجهها المرضي. ولديها أيضا بقايا طلاء أحمر شفاه. وعلى الأرض ثياب مبعثرة. حمالة صدر بدانتيل أسود، صندل ذهبي بنعل رفيع وثوب من الشيفون أخضر ليموني. أذكر أنني رأيتها في هذا الثوب منذ سنوات عديدة، في إحدى خروجاتها إلى الأوبرا. وكان بين الثياب المتناثرة على الأرضية، زجاجة ويسكي فارغة.

تقترب مورينا من بولا وتقبلها.

- أهلا، حبيبتي.

أقول لها:

- ألا ترغبين أن أفتح النافذة قليلا.

- لا.

- القليل من الهواء سيحسن حالتك. المكان مكتوم تماما.

تنظر إليّ بقسوة.

t.me/qurssan

- لا، لوثيا، لا.

ثم تغمض عينيها وتظل بلا حراك ويداها معقودتان على الصدر، وكأننا غير موجودين هناك. كما لو كانت ميتة. بقينا نتطلع إليها لبضع دقائق، وكأننا ننتظر شيئًا. سألت مورينا بصوت خفيض:

- هل هي نائمة يا أمي؟

- بولا ليست على ما يرام، مورينا. مصابة بألم في الرأس.

- صداع؟ -تساءلت مورينا وقد اعتادت على تلك الكلمة.

- نعم.

ظللنا نتطلع إليها ساكنتين، وكأننا نأخذ وضعية التقاط صورة فوتوغرافية. بعد ذلك توجهت مورينا نحو الملابس الملقاة على الأرض وارتدت صندل بولا الذهبي واقتربت من مرآة التسريحة، وهي تتصنع تعبيرات راسمة وجه امرأة غامضة. تفتح أمي عينيها وتنظر إليها. تثبت نظرتها عليّ بعد ذلك.

- مورينا، أنت تعلمين بالفعل أن بولا لا تحب عبثك بثيابها. اخلعي الحذاء فورا.

- حسنا -تقول ابنتي على مضض وتهبط من النعل المرتفع.

أتصفح مجلة وجدتها على الطاولة المجاورة للفراش. إنها مجلة فنون، في طبعة فاخرة، بها صور لمنحوتات الماوري. عينا أمي مفتوحتان. بقينا صامتتين لبرهة نحن الاثنتين. من الضروري أن نتكلم ونخترق جدار الصمت بيننا. أبحث عن شيء أقوله. أي شيء. لا يهم أيا كان. أسأل في النهاية:

- وميراندا؟

t.me/qurssan

- لا أعلم عنها شيئا. كيف حال الجو اليوم؟

- رائع، مشمس. يبدو ربيعيا هل أنت متأكدة من أنكِ لا تريدين أن أفتح لك النافذة؟

- لا، لا.

- سيكون مفيدا لكِ.

- لا، لوثيا. الضوء يضايقني.

أسأل بعد ذلك عن بابا.

- بخير.

تغطي عينيها مجددا وأتناول أنا مجلة أخرى من على الطاولة. نسترخي في جلستنا ويخيم علينا صمت مطبق. تقول مورينا:

- ماما، أنا عطشانة.

تقول أمي:

- اطلبي الغداء من دِليا واذهبا للمطبخ أفضل. أريد أن أستريح قليلا.

t.me/qurssan

من أجل الزيارات

حضر بدرو اليوم. قال بعد أن طبع قبلة على خدي؟

- كيف الحال، لوثيا؟

- بخير.

- ياله من مطر فظيع.

- نعم، هكذا حال هذا الشهر. مطير.

- يبدو أن كل عطلات نهاية الأسبوع ستكون كذلك. يقولون إنها ستمطر طوال الخريف. بسبب تيار النينيو.

- لا نينيا -صححت بسأم، آملة إنهاء موضوع الطقس.

شبك يديه خلف ظهره وقطع حجرة المعيشة بخطوات واسعة. عندما لاحظ التغييرات التي طرأت على المنزل، رفع حاجبيه وأحنى رأسه في إيماءة موافقة احتفالية، وقال عندما رأى مقاعد الصالون موضوعة بالطريقة التي كنت دائما أتمناها.

- آه، جيد، جيد.

t.me/qurssan

تذكرت مشاداتنا، إلى أن وضعناها، رغما عني، على شكل حرف L، كما كان يروق للسيد المهندس المعماري. قلت بهدوء:

- هكذا إذن. كل شيء يتغير.

- أرى ذلك.

جلسنا. هو أيضا طرأ عليه تغيير ما منذ آخر مرة التقينا. غير قصة شعره، أكثر قصرا، وأقل رسمية. قميص جديد، بنطال جينز، وحذاء رياضي.

- قهوة؟

- حسنا.

قدمت القهوة مع بسكوتات على صينية زرقاء كنا قد أحضرناها من رحلتنا إلى المكسيك. لم أتخيل مطلقا أنني قد أشتري بسكوتا لاستقبال بدرو. البسكوتات من أجل الزيارات.

كنت قد طلبت منه أن نتقابل للحديث بشأن مورينا ولإعادة الاتفاق على نفقة الإعاشة.

- اتصلت بي مُدرِّسة مورينا لتخبرني بأنها دائمة الشرود في الفصل، ومشتتة تماما ولا تستجيب للمدرسة. وتقول إنها لاحظت عليها شيئًا من العدوانية مع زميلاتها.

- فهمت (قال قبل تناول رشفة من الفنجان).

- ترى أنها ليست على ما يرام.

- وأنتِ؟

- وأنا ماذا؟

t.me/qurssan

- كيف تجدينها؟

- لا ألاحظ عليها اختلافًا كبيرًا. ولكن إذا هي قالت ذلك. -حسنًا إذا كنا سنسترشد بما تقوله المعلمات. يكفي أن يزفر طفل مرتين لأن لديه حساسية من حبوب اللقاح، لكي يعتقدوا أن لديه اضطرابًا نفسيًا كبيرًا.

- لكن، يجب أن يكون بكلامها شيء من الصحة. الأسبوع الماضي تشاجرت مع دولورس ومع رفا.

نظر إلي بلامبالاة.

- بدرو، والدك أخبرني أنه لاحظ التغير الذي طرأ عليها. وأنها لم تتحدث مطلقا عن انفصالنا.

- كما تعلمين، يميل أبي للطابع الدرامي. بالنسبة له، الحياة عبارة عن أوبرا لماسكاني.

- على أي حال أعتقد أنه لن يكون هناك أي ضرر من إعطاء مورينا بعض جلسات العلاج النفسي. لكي تستطيع الحديث.

- ربما، قال وهو يسوي وضع النظارة كعادته كلما ضايقه أمر ما.

- أوصتني فيرا بالإخصائي النفسي الذي يتابع ابنتها. تقول إنه يقوم معها بعمل جيد للغاية.

- فيرا؟ -قال رافعا صوته.

- نعم، فيرا.

أستطيع قراءة أفكاره: من هي فيرا؟ وبأي حق توصينا فيرا بإخصائي نفسي من أجل ابنتنا؟

t.me/qurssan

- فيرا -أكرر.

يعدل وضع نظارته مثبتا نظراته على القهوة ثم قال بأسلوب قطعي:

- سوف أستشير ميغل بريور. ربما يستطيع هو أن ينصحني بأحدهم.

تنتابني رغبة في أن يصمت. وأن يرحل. أعتقد أنه ليس سيئًا مقابلة الزوج السابق. تفيد في إنعاش ذاكرتنا. كان بدرو هناك، ببراعته في أن تكون له دوما الكلمة الأخيرة.

انتقلنا بعد ذلك إلى موضوع نفقة الإعاشة الشائك. تحدثنا عن ذلك بلطف، وبلباقة وبأسلوب راقٍ، كشريكين قديمين يعرفان ويخشى كل منهما جانب الآخر. بمنتهى الحرص في ألفاظهما.

كان يسوي وضع النظارة بشكل متكرر. على ما يبدو كان الموضوع يضجره. مثلما يضجرني. وسرعان ما قال:

- زهور جميلة.

اقترب من الزهور الحمراء التي كانت على الطاولة. تشممها وسألني إذا كان يستطيع أن يأخذ واحدة منها.

- نعم، بالتأكيد.

لطالما أدهشني ولعه بالزهور.

- شكرا. وفي صحتك -قال رافعا الزهرة وكأنها كأس. ما زالت ابتسامته ساحرة كالعادة. ابتسامة مشرقة. هي نفسها التي سرقت قلبي قبل بضع سنوات.

عاد للجلوس في مقعده.

t.me/qurssan

- بالنسبة لمسألة النفقة لن تكون هناك أية مشاكل، لوثيا. فلنسوها وفقا لما ترينه ضروريا. أود أن تكون مورينا بخير، ما دام ذلك في استطاعتي.

أشعل سيجارة.

- وأنتِ كيف حالك؟ كيف تسير أمورِك؟

- بخير. على ما يرام، -أجبت بينما أضع ساقا على أخرى.

- تفرّس فيّ باهتمام.

- أنتِ في غاية الأناقة.

- سأذهب لحفل موسيقي -قلت وأنا أقدم له طبق البسكوتات.

- لا، شكرا. أي حفل موسيقي؟

- موسم بيرليوز. يقولون إن المطربة رائعة. أورسولا فوش، ألمانية الجنسية.

- في منتهى الأناقة -كرر، فيما يطيل النظر إلى ساقيّ وقدميّ.

- شكرا.

- يروقني حذاؤك.

ابتسمت.

- في منتهى الروعة.

كنت أعلم أن الحذاء سيلقى إعجابه. حذاء شمواه أسود اللون بكعب عالٍ. أنثوي رقيق بدون أي تكلف.

قبل عدة ساعات، ظللت أفكر لفترة طويلة في ثيابي، مثلما كنت مراهقة وأستعد للخروج. كانت زينتي تخلو من أية براءة. ثوب أسود، (*le petite*

t.me/qurssan

robe noir). جوارب شفافة، شفاه مطلية بلون لامع. وأزارو 9، عطره المفضل.

كنت أود أن أروق له، نعم. يجب أن أعترف أن الكبرياء كان دافعي أكثر من الحب. فلطالما انتقد أسلوبي في ارتداء الثياب. قبل فترة وجيزة من وصول بدرو، أخبرتني السيدة التي تقوم بتنظيف المنزل أنني أبدو كملكة. لم تكن لدي أية رغبة في أن أبدو كملكة، ولكن كنت أعلم أن كلماتها مليئة بالإطراء والود. فكرت أنه مجرد تنكر. قلت لها:

- شكرا جزيلا، أنخيلا.

- آه، أود أيضا أن أحدثكِ عن موضوع آخر.

أزعجني شيء في نبرة صوته. سألت:

- أي موضوع؟

- حسنًا، أمامي فرصة عمل بالخارج.

طلبتُ منه سيجارة.

- في الخارج ... أين؟

- برشلونة.

غرقت في الصمت.

- لبعض الوقت فحسب (أضاف).

- لكم بعض الوقت؟

- لا أعلم. عام. ربما عامان.

أخذ قلبي يدق بشدة.

t.me/qurssan

- عامان؟ ومورينا؟

- ليس أمرًا فوريًّا. يتعين عليّ الرحيل في أغسطس، ولكن ما زال غير مؤكد. على ما يبدو سيكون عملا براتب مجزٍ للغاية. في تلك الحالة، قد يكون بوسعي المجيء كل شهرين أو ثلاثة وفي الصيف أصطحبها معي في إجازة. الوضع هنا سيئ وينذر بأن يزداد سوءا.

أضاف بعد أن تطلع إليّ لبرهة:

- على أية حال إنه مجرد احتمال فحسب، ولم أكن أود ألا أخبرك به.

بدأ هاتفه المحمول يدق. نظر إليّ. سوى وضع نظارته مجددا، تطلع إلى الرقم الذي كان على الشاشة، ثم أطفأه.

- أين كنا؟ (سأل كما لو كان عائدا من رحلة).

- في برشلونة.

- آه، نعم. سأبقيك دائما على اطلاع.

- سأكون ممتنة لك على هذا.

- ما هذا الشيء؟ (سأل منفعلًا).

- إنها «بابا». قطتي.

- آه، رائع... فيما يتعلق بمورينا، إذا سمحتِ سوف نعاود الحديث مطلع الأسبوع القادم.

نظر في ساعته.

- يجب أن أعود إلى الاستوديو.

- نعم، الوقت تأخر بالنسبة لي أيضًا.

t.me/qurssan

وضع المعطف الواقي من المطر على كتفيه وطبع قبلة على خدي.

- نتواصل (قال بينما سار صوب الباب).

عندما أغلقتُ الباب، حملت الصينية والمطفأة والفناجين إلى المطبخ. ظل بسكوت الزيارات لم يمس.

t.me/qurssan

ممثلتان

أنخيلا هي المرأة التي تعمل بالمنزل منذ زواجي. كانت تأتي للتنظيف في الصباح، ثلاث مرات في الأسبوع خلال زواجنا. تعد الإفطار للجميع، وأحيانا تصطحب موريننا إلى المدرسة، ثم تتفرغ لتنظيف المنزل. منذ الانفصال، تأتي أيام الجمعة فحسب. أعتقد أن بدرو، على الرغم من أن التعامل بينهما كان فاترا ومتباعدا، كان معجبا بأنخيلا. كان يشيد بأخلاقها وذكائها في حل المشاكل الطارئة، وعلاوة على هذا، كان يحب على وجه الخصوص أطباق الحلويات خاصتها وطريقتها التي لا تضاهى في كي قمصانه.

على العكس، أشك في أن أنخيلا كان يروق لها بدرو. أعتقد أنها كانت أقل توترا حينما لا يكون موجودًا. تجرأت على القول قبل بضعة شهور في تصريح شديد البلاغة:

- الرجال مزعجون في البيت أثناء الأسبوع، لوثيا. ليس مكانهم. يجب إرسالهم مبكرا إلى العمل، لكي تستطيع الواحدة منا التنظيف في هدوء. تتنفس البيوت في عدم وجود الرجال بالمنزل.

أعرف أنخيلا جيدا. أعرف على سبيل المثال، أنها لو لم تشرع في الغناء بمجرد وصولها -لأن أنخيلا تغني، دائما تغني- فإنها تكون إشارة سيئة. تعني أنها في مزاج سيئ أو أن شيئًا يؤلمها. يكفي ساعتها أن أسألها عن أحوالها لكي تطلق العنان لشكاواها الطويلة المفصلة من آلامها. كنا كممثلتين في

t.me/qurssan

عمل مسرحي قدمناه مرات كثيرة وكلتانا تعرفه عن ظهر قلب. يتطور المشهد الأول على النحو التالي:

- كيف حالك، أنخيلا؟

- ماشية. أنا مطحونة.

- حقًّا؟ ماذا أصابك؟

- لست على ما يرام، لوثيا.

- ماذا ألمّ بك؟

تبدأ حينئذ قصة الركبة الملتهبة، احترار الجوف، مرارتها المليئة بالحصوات، ندبة الرأس، الضغط المرتفع -أو المنخفض- أو بمنتهى البساطة «الأعصاب».

منذ عدة سنوات، كان انقطاع الدورة الشهرية السبب الرئيسي لمعاناتها. تقول وهي تتفرس فيّ بنظراتها إن أعراض «سن اليأس الفظيعة»، بدأت تظهر عليها قبل بلوغ الأربعين. تنتابني رعدة حينما تشرع في سرد ما سلبه انقطاع الدورة منها بأدق التفاصيل. تتابع، بالإضافة إلى الخصوبة، فقدت نعومة بشرتها، نسبة كبيرة من شعرها، النوم الهانئ، الخصر النحيل، الرغبة، امتشاق الثديين، كالسيوم عظامها، المناعة والحساسية، ضمن أشياء أخرى أفضل عدم سماعها.

ولكن أنخيلا، لله الحمد، لا تتحدث دائما عن أمراض. فلطالما أحببتها، وما زلت، أدردش معها بينما تعد أطباق الحلويات، يلفنا نحن الاثنتين عبق لذيذ بنكهة الفانيليا والتفاح والقرفة. أحب الاستماع إليها تتحدث عن عائلتها كثيفة العدد، عن أبنائها وأحفادها، عن طفولتها في الريف. أحب إدراك أنه عند نقطة معينة، أننا معشر النساء نشبه كثيرا بعضنا بعضا.

t.me/qurssan

تعيش منذ نحو عامين مع عمر، زوجها الجديد، مطرب روك سابق، ترك الجيتار الكهربائي لكي يتفرغ لإصلاح الأسقف.

- هذا حال الدنيا، لوثيا. عمر راااائع (تقول بتأكيد مبالغ فيه). يجب أن تري كيف يعتني بي، ويتحمل آلامي، وانفلات أعصابي، لا يفارقني في أي مكان... لكن أحيانا (تخفض صوتها)، أجده غيورا، لوثيا. وفي الحقيقة يخنقني قليلا.

عرفت عمر بعد عدة سنوات من ترملها من زوجها الأول، سكير تزوجته في الخامسة عشرة، رجل عنيف توفي بتليف الكبد، بعد أن جعلها تبيع أثاث البيت لسداد ديونه من القمار.

- نحن معشر النساء كائنات شهوانية بالفطرة (أقول)، مفكرة بصوت مرتفع. -تنظر أنخيلا إليّ وتلوذ بالصمت لبضع لحظات.

- لا أفهم -تقول على استحياء.

- لا نكتفي من شيء، أنخيلا. نريد دائما المزيد. الرجال على حق عندما يؤكدون أننا شكّايات، ألا ترين ذلك؟

- حقيقي (تقول ببطء) نحن النساء شهوانيات.

تعرف كل شيء، من النظر إليّ فحسب، وبدون أن تسألني. لم تتطرق مطلقا لانفصالي. عندما لاحظت غياب بدرو، أدراجه الخاوية، الصمت المسدل على اسمه، اكتفت بالنظر إليّ بطريقة مختلفة، بأسلوب أكثر أمومية، وأشعرتني بالارتياح من خلال لفتات صغيرة حانية مثل إحضار الإفطار في الفراش أو تعلق أن قصة شعري الجديدة جعلتني أكثر شبابا وأنني أذكرها بنجمة تليفزيونية.

t.me/qurssan

الحديث عن الحب

أجلس مع صديقي دودي في ميدان فرنسا تحت شجرة زيزفون، نتحدث عن عمر.

كانت الليلة دافئة وعاطرة، وعلى الرغم من أننا ما زلنا في الشتاء، من الممكن أن تحسب ليلة من ليالي نوفمبر الدافئة. تألقت المدينة بأضوائها وعبيرها مثل امرأة تتهيأ لحضور حفل. وبدا كأن الهواء معبأ بأريج الزهور والفواكه. دعانا هذا الربيع المفاجئ للخروج إلى الشوارع. وكأننا نفيق بعد سبات عميق، كانت تحدونا جميعا رغبة في الكلام، التنزه، تناول الطعام والضحك. شمر الرجال عن سواعدهم، أما نحن النساء فقد استعرضنا سيقاننا وأذرعنا. فجأة أصبحت بشرتنا مخملية: وحتى أكتافنا كانت تشع بحسية لا تقبل الشك وتصاعدت ضحكات وهمهمات من المطاعم والمقاهي التي قرر أصحابها إخراج الطاولات على الأرصفة.

تجمعنا دودي وأنا صداقة منذ سنوات. وهو حينما أفكر في الأمر، الصديق الوحيد الذكر الذي أشاركه بالفعل أموري الحميمية وأسراري. في البداية كنا نلتقي من آن لآخر، على مائدة غداء نرتبه في المنزل، في أي تجمع، ولكن منذ عامين أو ثلاثة، ومع بداية انهيار زواجي، تكررت لقاءاتنا أكثر. وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين أمزجتنا، يوجد بيننا تقارب غريب، يجعلنا بصورة ما، نستمتع بصحبة كل منا للآخر.

t.me/qurssan

تعارفنا في منزل ميراندا في حفل عشاء. كان هو وشقيقتي في تلك الفترة مرتبطين عاطفيا. كانت ميراندا قد انفصلت توا عن باكو، آخر أزواجها، وحسب قولها، ظهر دودي في حياتها مثل نسمة هواء رطبة.

كانت تقول: أعلم أن العلاقة لن تستمر، ولكن يروقني أن أكون معه، أحب الاستماع إليه، وطريقته في الإنصات إليّ.

ما زلت أراه على حاله في ذلك الحفل على ضوء الشموع، جالسا إلى جوار ميراندا، يتحدث مع بدرو عن فن العمارة القوطية. كان أول ما لفت انتباهي أسلوبه في الحديث. كان يتحدث قليلا وببطء، وكأن نطق الكلمات يشعره بلذة. لديه لكنة أجنبية خفيفة وساحرة. ومع ذلك لفت نظري أكثر الاهتمام الشديد الذي ينصت به بينما يشبك يديه الطويلتين السمراوين فوق المائدة. يبتسم في صمت وبالكاد يومئ برأسه، مغمضا عينيه. أتذكر بدرو يتحدث بحماس حول نوع معين من المصابيح والشرفات من طراز أرت ديكو، مستمتعا بالحفاوة الصامتة واليقظة من جانب محدثه.

أدهشني تلك الليلة اكتشاف أن دودي كان تقريبا محط أنظار الجميع. أبهر الجميع أيضا بعينيه السوداوين المتألقتين كجمرتين مشتعلتين يؤطرهما حاجبان قويان، صوته الناعم العميق ورقة شبه أنثوية تضفي عليه غموضا مربكا.

دفعني لون بشرته، لكنته، وأسلوبه الفريد في الإنصات -تلك الخصلة الفريدة التي ربما جعلته، على ما أعتقد، محبوبا للغاية- للتفكير أنه قادم من إحدى بلاد الشرق. كان هناك تشابه ما بينه وبين سعيد، أحد أبناء عمومة أبي كان يؤلف قصائد وانتحر في دمشق في ريعان شبابه.

عرفت بعد ذلك أن والد دودي كان دبلوماسيا هنديا وأنه قضى فترة

t.me/qurssan

شبابه متنقلا بين إنجلترا واليونان والإكوادور. بالإضافة إلى درجة لون بشرته، بدا أن دودي كان يحمل معه ألوان الصحراء. كان يرتدي حلة من الكتان البيج، قميصا أبيضَ وأحيانا منديلا حريريا بلون رملي.

جاء إلى المنزل عدة مرات منذ تلك الليلة. وحتى بدرو كان على نحو ما خاضعًا لسحر دودي. في البداية كان يأتي مع ميراندا، ولكن العلاقة لم تدم سوى همسة. بعد ذلك كان يأتي بمفرده؛ وأحيانا بصحبة أية امرأة أخرى. كانت رفيقاته من الأكثر تنوعا سواء من حيث المظهر أو الشخصية. عندما علقت معه على الموضوع بعد طول تفكير، قال لي إن هذا حقيقي. لم يكن لديه «نمط» محدد. كانت كل النساء جذابات بالنسبة له، وكان مولعا باكتشاف أن كل واحدة منهن تمتلك كنزا خاصا، وأن ذلك الكنز فريد ليس له نظير.

بمرور الوقت، أصبحت صداقتي بدودي أكثر خصوصية. كان لدينا الكثير من الولع المشترك: موتسارت، الأغاني الفرنسية، التمشية، الدردشة في المقاهي القديمة، ميادين بوينوس أيرس.

يقول إن الروح الحقيقية لأية مدينة موجودة في ميادينها. أعشق الميادين. لسبب ما أشعر بتقارب مع ساكنيها، البؤساء، العجائز والمجاذيب والمتوحدين.

لم يكن لدى بدرو غضاضة في أن يراني مع صديقي. لم يكن غيورا على الإطلاق وكان على قناعة بأن دودي مثلي جنسيا. كان يقول مؤكدا بابتسامة العليم ببواطن الأمور: دودي يعشق الرجال، لوثيا.

وجدت هذا الصباح رسالة تركها دودي ليلة أمس في وقت متأخر للغاية. تقول الرسالة:

- أحتاج للحديث معكِ.

t.me/qurssan

ساورني القلق. لم تكن كلمة أحتاج معتادة منه. وتشي نبرة صوته بكثير من الإلحاح لدرجة أنني لم أتردد في إخباره بأن نلتقي في نفس اليوم.

يتحدث دودي دائما عن الحب.

عن الحب والنساء.

تعج حياته بالنساء. شقيقات، بنات، زوجات سابقات، عشيقات، نساء جذابات، وبالطبع، لاورا والدته الأنيقة الراقية المحبوبة. وكان يبرر ذلك قائلا:

- المرأة هي كل شيء بالنسبة لي. سعادتي وشقائي. أعيش لكشف سر غموضها.

كانت علاقاته العاطفية جارفة وملتهبة، وبصفة عامة تتلاشى في غضون أسابيع قليلة بنفس السهولة التي بدأت بها. ولكن هذه المرة حدث شيء غير متوقع.

- أنا مريض، لوثيا.

- ماذا جرى؟

غرق في التفكير للحظات وكأنه لا يجد الكلمات. وأضاف بدون أن يرفع نظره:

- وقعت في الحب.

- لقد أفزعتني. تصورت أنه وقع شيء خطير.

- هذا أمر خطير، لُو.

- وكيف حدثت المعجزة؟

t.me/qurssan

- لا أعرف كيف، ولكنها حدثت. ربما لخطأ حسابي.

- وما هي المشكلة؟

- جعلت من نفسي أحمقَ. أتصرف كمراهق وأنا في الخمسين. أعيش متحينا لحظة رؤيتها. أحتاجها، أشتاق إليها، أغار عليها.

- وما اسمها تلك التي حطمت قلبك؟

- كارلوتا...

- آه، بداية موفقة لكي تفقد عقلك. كارلوتا عشيقة فيرتر.

ابتسمت.

- حقا. لم أفكر في ذلك.

- وكيف تبدو؟

نظر إلى أعلى ولوح بيديه، كما لو كان ينحت صورتها في الهواء.

- إنها رائعة.

- ليس لديّ أي شك. ولكن كيف تبدو؟

- فاتنة، شقية، مرحة...

لاذ بالصمت لبرهة. بعد ذلك أضاف بصوت منخفض:

- شابة.

- شابة، إلى أي مدى؟

- شابة صغيرة جدا.

- شابة إلى أي مدى؟ -أكرر.

t.me/qurssan

- في العشرين.

- عشرين؟ -أكرر بدون إخفاء التوجس.

- نعم عشرين.

- حسنا.

نلوذ بالصمت.

- أين التقيت بها؟

- في درس التانغو.

تبادل عاشقان القبل على أقرب المقاعد منا. الشاب بدين وأصهب. تقطع خده ندبة. ويرتدي قبعة رياضية بالمقلوب. تحتضن الفتاة حافظة أوراق عليها صورة مادونا موضوعة فوق تنورتها، تبرج عينيها مبالغ فيه، ثوبها الأصفر قصير للغاية مطبوع عليه زهور كبيرة وترتدي حذاء جلد صناعي مرتفعا ذا رقبة بلون أبيض لامع.

ينهضان ويشرعان في المسير. يمسكها الشاب من خاصرتها بينما تميل هي برأسها على كتفه. يُصر في أذنيها ببضع كلمات فتغرق في الضحك. يضحك أيضا بطريقة جافة. أقول:

- أتساءل لماذا كلما تقدم الرجال في العمر يقعون في غرام فتيات أكثر شبابا؟

يلتفت دودي برأسه نحوي.

- لا أدري (يقول ناظرا نحو العاشقين المبتعدين). أتصور أننا بمرور الزمن نصبح حمقى. حمقى وكئيبين. لا أدري. ربما تساعدنا صحبة فتاة شابة على النسيان.

t.me/qurssan

يميل برأسه للخلف ويتطلع إلى السماء. ثم يغمض عينيه. يضيف:

- هناك شيء مستحيل. إنهن هنا إلى جانبنا، ومع ذلك فهن مثل عرائس من دخان. عندما نريد الإمساك بهن يتلاشين من بين أيدينا. دائما بعيدات المنال.

- وماذا عنها؟ ما شعورها تجاهك؟

بصفة عامة تقع النساء في حب دودي إلى حد الجنون.

- لا أعتقد أنها تشعر بشيء ذي أهمية نحوي.

- هل أخبرتك بذلك؟

- لا. ولكن لا تريد أن تراني منذ عدة أسابيع. تتحاشاني.

أسأله إذا كانت تبقى للمبيت في منزله. ينزعج دودي من النوم مع امرأة، ويزعجه أكثر لو كان ذلك في منزله.

يقول:

- نعم. ويسعدني. يروقني أن تجلب حقيبة الظهر، التي تحمل عليها كتبها، المنامة الزرقاء السماوية، فرشاة أسنانها. تسعدني رؤيتها نائمة، رؤيتها تتناول الطعام، أن أستيقظ إلى جوارها.

أتطلع إليه باهتمام. هناك شيء مختلف به هذه الليلة. في وجهه. بدا هزيلا: أكثر شحوبا، أكثر ضعفا. وللمفارقة أكثر شيخوخة.

أتذكر فجأة شيئا حكته لي عمتي. «يعتبر الوقوع في الحب بالنسبة للعرب، نوعًا من العقاب. وأكثر من ذلك، عندما يواجه العربي عدوًّا يدعو عليه من باب استنزال اللعنات: أن يُبتلى بالحب».

- إنك أكثر نحولا، أليس كذلك؟

t.me/qurssan

- قليلا.

يراودني شعور بأنه ما زال لديه شيء يريد إخباري به.

- هل هناك شيء آخر؟

- نعم (يجيب بصوت مخنوق). أشعر بالغيرة.

أنتظر في صمت أن يكمل. يقترب منا شحاذ. شخص رث الثياب ذو لحية سوداء، يتحرك قافزا بمهارة مدهشة على ساق واحدة بدون عكاكيز. يقول الرجل مستندا بمرفقه على المقعد ليريح ثقل جسده:

- أنا جائع.

يعطيه دودي بعض القطع المعدنية. فيقول مبتسما بفم خالٍ من الأسنان:

- شكرا، سنيور. ربنا ينورها لكم.

يرحل الرجل متقافزا. أخبر دودي أن ميادين بوينوس أيرس تحولت في الآونة الأخيرة إلى صورة لبطاقات معايدة من الجحيم.

- تجسست عليها ليلا، (تابع وكأنه لم يسمعني) انتظرتها عند ناصية منزلها، مختبئا كلص. عادت في وقت متأخر جدا، مع شخص. كنت أعرفه. رأيته في الأكاديمية ذات مرة. مدرس السالسا. كانت كارلوتا مبهورة به. مهووسة به. لا تعرفين كيف يبدو هذا الشخص: كوبي تافه، يرتدي بنطالا بنفسجيا... حيوان.

لم أستطع تمالك نفسي من الابتسام.

- كذبت عليّ، لوثيا. قالت لي إننا لا نستطيع أن نلتقي لأنها يجب أن تذاكر ولأنها متعبة.

t.me/qurssan

لا أجد كلاما لمواساته. كانت قصته تبدو لي في منتهى التفاهة، وإن لم تخل من مأسوية.

- ظللت لساعات أتطلع إلى نافذتها، كأحمق (تابع) محاولا تخيل ما تفعله. أتخيل حركاتها، كلماتها، لمساتها... كنت في أمس الحاجة إلى أن أرى، أسمع، أعرف. ركزت على خيال كارلوتا، الذي بدا لي أني لمحت طيفه يتحرك في بعض الأحيان خلف الستائر. كنت على وشك قرع الجرس. (توقف لبرهة) أطفأوا الأنوار بعد ذلك. انتظرت دقيقة تلو الأخرى رحيل الشخص، ولكنه لم يفعل... لم يفعل. اتصلت بها هذا الصباح. أخبرتها بأنني أريد أن أراها. أجابتني بضيق، بلامبالاة مقلقة. قالت إنها متعبة وإنها كانت تنجز بحثا للكلية وإنها ستعاود الاتصال بي في وقت لاحق. لو لم أكن جالسا معكِ الآن لعاودت الاتصال بها. أو عدت للتجسس عليها. أنا مثير للشفقة، أليس كذلك؟

- لا، أنت غيور.

تذكرت تلك الليلة، وكانت مورينا طفلة صغيرة، عندما قمت بسبب قلقي من تأخر بدرو المتكرر، بتفتيش أدراجه وتقليب جيوب سترته.

- نعم، (قال دودي بغمغمة حاول أن تبدو ابتسامة) نعم أنا غيور، غيور بشكل بشع. «تتضاعف معاناتي بسبب الغيرة أربع مرات: لأني غيور، لأني ألوم نفسي على غيرتي، ولخوفي من أن تجرح غيرتي الآخر، ولأنني أسمح بتعريض نفسي للحماقة. أعاني من تعرضي للإقصاء، من كوني عدوانيا، مجنونا ولكوني عاديا». توقيع رولاند بارزيس وكل غيوري الأرض. والآن سأدعوكِ لتناول آيس كريم أود أن تحدثيني عن نفسك.

t.me/qurssan

نوعه المفضل

مثل كل عشاق السينما، كان لدى بدرو ممثلوه وممثلاته المفضلون. كان شديد الإعجاب بمارلون براندو. كان لديه صورة له فوق مكتبه -براندو شابا، وسيما، إلى جوار فيفيان ليخ في فيلم «عربة اسمها الرغبة»- واعتاد محاكاة حركاته ونبرة صوته بشكل مذهل.

ومن بين الممثلات كان يحب غريتا غاربو، أودري هبورن، وكاثرين دونيف. ولكن كانت هناك ممثلة يحبها أكثر منهن جميعا: الفرنسية فاني أردان. سمعته أكثر من مرة يقول أمام أصدقائه إن هذه النوعية من النساء تبهره. كان يمتدح وجهها، ابتسامتها، يديها، عظامها، وبصفة خاصة عظامها. أتذكره يثني عليها، عند الخروج من السينما، أو ينصت إليها منتشيا حين يجرون معها مقابلة تليفزيونية. كان يقول:

- يالها من امرأة!

وكيف لا أتفهمه، إذا كدت حتى أنا أقع في غرام تلك الممثلة ذات الوجه المضلع والمخنث بعض الشيء، والتي لا يمكن الكف عن النظر إليها عندما تظهر على الشاشة. ومع ذلك، كان هنا شيء يجرحني في ذلك الاختيار. ولم يكن ذلك لأنه معجب بامرأة جميلة، بل بسبب الفجوة الشاسعة التي لا سبيل لرأبها، الفاصلة بين ذلك النوع من النساء ونوعي.

اعتاد أن يقول، وخاصة في الأيام الخوالي، إنه يعشق بشرتي وطريقة

t.me/qurssan

ضحكي بعينيّ، صوتي. وأعتقد أن ذلك كان صحيحا. بالرغم من ذلك، بدأت أفكر إزاء الوضوح الذي كشفه البعاد، أن أكثر ما أعجب به بدرو فيّ كان عشقي الشديد له. عندما بدأ يفتر إعجابي به مع الوقت، وعندما لم تعد أفكاره تبدو لي نيرة إلى هذا الحد، ولم تعد آراؤه صائبة تماما، ولم تعد نكاته مضحكة، أخذ الموت يزحف من الخواء على حبه -الذي كان يعيش على حبي مثل الطفيليات- من الخواء.

t.me/qurssan

النوم مع مورينا

نمت أمس مع مورينا. عندما تهب عاصفة، أسمح لها بالنوم في فراشي. تشعر برعب منذ نعومة أظفارها من الرعد والصواعق. كثيرا ما كانت تظهر في ساعة متأخرة من الليل بحجرتنا، وهي ترتجف، ولم تكن تستأذن في النوم معنا.

لم يكن بدرو يتحلى بالمرونة. كان يقول:

- لا، يا ابنتي. لا يجب الخوف من المطر. إنه خوف ساذج ويجب أن تتعلمي تجاوزه. النوافذ مغلقة. ويحميك سقف. هيا، عودي إلى فراشك.

ترحل مورينا بوجه محتقن من الغضب تجرجر قدميها علامة على الاحتجاج. في أيام الآحاد فحسب كان مُرحبًا بها كضيف رسمي، حينما تظهر وبين ذراعيها (كورا)، العنزة العجوز المصنوعة من القماش التي أهدتها ميراندا لها يوم مولدها والتي تنام إلى جوارها دائما. يعتبر النوم إلى جواري من المميزات التي حصلت عليها مورينا منذ رحيل بدرو عن المنزل. تسأل خائفة عندما يبدأ هطول المطر:

- هل أستطيع البقاء اليوم؟

- نعم يا بُنيتي.

حينئذ نشكل معًا جديلة في الفراش، مثل عاشقين. تلتف ساقاي

t.me/qurssan

حول ساقيها، وتحتوي قدماي قدميها الصغيرتين، وصدري ملتصق بظهرها. دفء رقبتها أسفل شفتي. في الصباح: الاستيقاظ وسعادة سماع صوتها يخبرني بأنها تحبني.

t.me/qurssan

الموعد

ألحت عليّ فيرا كثيرا.

أخبرتني أثناء ترتيب ملابسي في الأدراج:

- لديه رغبة كبيرة في أن يراكِ. حقًّا.

كانت تدخن مستلقية على ظهرها في الفراش.

أشارك فيرا -ضمن العديد من الأمور الأخرى- عشق الفراش. راقنا منذ الصغر اتخاذه مركزًا لعملياتنا. لا يوجد شيء مبهج إلى هذا الحد مثل تناول الإفطار في الفراش، الحديث في الهاتف من الفراش. احتساء شراب المتة في الفراش، القراءة في الفراش، الدردشة في الفراش.

من وجهة نظر بدرو: عادات سيئة لفتيات برجوازيات.

- لا يتحتم عليكِ التفكير في حب عمرك أو في الزواج. أحدثك فقط عن الخروج مع أحدهم. التعرف على شخص وقضاء وقت طيب.

- لا تلحّي. لم أخرج مع شخص لا أعرفه منذ وقت طويل، لن أعرف.

- من السهل التذكر.

ابتسمت ثم نظرت لأظافرها.

- هل لديكِ مبرد أظافر؟

t.me/qurssan

- نعم. في أول درج من الطاولة المجاورة للفزاش.

- اسمه إرنستو هل أعطيه هاتفكِ؟

كانت تتحولّ قليلا بينما تواصل تقليم أظافرها.

- لا.

- بالتأكيد سوف يصطحبك لتناول العشاء أو للسينما. يعرف الكثير عن السينما، لديه مكتبة فيديو رائعة ومولع بأفلام السينما الصامتة. إنه شخص شيق.

استلقيت إلى جوارها وطلبت منها سيجارة.

- وكيف يبدو... من الناحية الجسمانية؟

- طويل القامة، لديه لحية صغيرة، ويرتدي نظارة. إنه... كيف أقول لكِ: شخص لا تشوبه شائبة.

- أكره التقديمات، فيرا...

- لا أحب الأشخاص السلبيين، لو. سوف يصحبك بالتأكيد إلى مكان أنيق. إنه يتقلد منصبا جيدا وهو شخص مرموق في مجاله. منذ متى لم يصطحبك رجل إلى المسرح أو للعشاء أو إلى مطعم جيد؟

- حسنًا (قلت بعد التفكير في الأمر للحظة). سوف أخرج.

- أنت رائعة.

في النهاية، لم تكن الفكرة سيئة: مطعم فرنسي أو ياباني. مع نادل شديد التهذيب سوف يساعدني على خلع المعطف، سوف يقرب المقعد مني ثم يحضر لنا الشمبانيا المثلجة بعد ذلك. سوف نأكل على ضوء الشموع

t.me/qurssan

ونضحك سويا، مشتعلين من تأثير الكحول.

نضحك، بدا هذا جيدًا.

إرنستو كاروتو، هتفت بصوت مرتفع، محاولة تخيله متجسدًا في شكل ما.

دق الجرس في تمام الساعة التاسعة. قال عبر الهاتف الجوال:

- هل ستنزلين؟

نظرت في المرآة قبل الخروج من الحمام، تممت على أحمر الشفاه، على الرغم من علمي بأن الرجال لا يحبون طلاء الشفاه، إلا على تلك النساء اللاتي لن يقبلوهن مطلقا. ارتديت حلة خضراء تفاحية من سترة وتنورة قصيرتين.

- هذا اللون سيرفعك في السماء -قالت بائعة محل الملابس، بهذا النمط من التعليقات المربكة، والتي تنطوي بجانب المدح، على إهانة مستترة.

كان في انتظاري رجل طويل القامة، يرتدي حلة زرقاء، بابتسامة معلقة في زاوية شفتيه، بشرة شاحبة وجافة مثل قطعة فلين. نظارات مستديرة بإطار نصف معدني ونصف بلاستيكي ولحية مدببة.

- كيف الحال، لوثيا. إرنستو كاروتو. كيفك أنتِ؟

قبلة على الوجنة الفلين. ركبنا سيارة نقل حمراء. سألني إن كنت أرغب في الذهاب إلى مكان بعينه.

- لا. إلى حيثما ترى.

- يوجد مقهى لطيف في شارع كاياو. يمكننا الذهاب وتناول شيء. هل تبدو لكِ فكرة جيدة، لوثيا؟

t.me/qurssan

- نعم، بالتأكيد.

قالت فيرا: بالتأكيد سوف يصطحبك إلى مكان جيد.

- تعرفين بالفعل خط سير الرجال: يصطحبونك في البداية إلى أفضل مطعم يعرفونه، وفي غضون شهر تأكلين البيتزا في شارع كوريينتس. هناك تأكلين بيتزا رائعة، يقولون بوجه في منتهى البراءة.

بدأ إرنستو بمرافقتي إلى مقهى. لا مطعم فرنسي أو أكلات من حمية البحر الأبيض المتوسط. الحانة اسمها «زهور السوسن». وهناك مزهريات على الطاولات. وضوء أبيض خافت. تعلن قائمة الطعام بحروف مذهبة:

مرحبا بكم

في

زهور السوسن

نتمنى أن تستمتعوا بوقت طيب

نقدم لكم دفء محلنا

وأفضل الخدمات

سأل إرنستو النادل إذا كان من الممكن إغلاق النافذة.

- هل يضايقك لو دخنت، لوثيا؟

- لا، كنت أدخن قليلا. لكن أقلعت عندما ولدت مورينا.

كان المهم أن أقول شيئا.

- أين تعملين؟

- كنت حتى فترة قريبة أعطي دروسا خصوصية في الموسيقى. ولكن

t.me/qurssan

احتجت للتغيير. أبيع كتبًا في أداغيو، لا أدري إن كنت تعرفه. إنه مقهى بين البيار وليبرتاد. حسنا، ليس مقهى تماما. فلنقل إنه مقهى بالإضافة إلى أنه تباع فيه الكتب. أنا أتولى أمر الكتب.

- آها -قال رافعا حاجبيه في إشارة على الموافقة.

- وأنتَ؟

- أنا سكرتير وكيل وزارة الاقتصاد لتخطيط الاقتصاد الكلي.

- واو...

ابتسم برضا.

- سأشرح لك. داخل وزارة الاقتصاد، هناك وزارة الدولة للتخطيط الاقتصادي، وهذه تنقسم بدورها إلى ست إدارات. أعمل أنا بإحداها وهي المختصة بتخطيط الاقتصاد الكلي، وتعنى بالشق المتعلق بموازنات الوزارات، إعداد التقارير الاقتصادية الربع سنوية وببعض الخطط الخمسية.

- هل لديها أي علاقة بتجمع الميركوسور؟

- لا، لوثيا. هذه الجزئية تختص بها إدارة السياسة الاقتصادية الخارجية. ويشغلها وكيل الوزارة مايورال.

- ممم... صعب.

وضحكنا.

كان جيدا أن ضحكنا. بدونا وكأننا نعرف بعضنا منذ وقت طويل.

- يفترض أن يكون مجالا شيقا.

- ليس دائمًا، لوثيا. قال واضعا مرفقيه فوق الطاولة ومشبكا يديه.

t.me/qurssan

لوثيا، لوثيا. ضايقتني كثرة تكراره لاسمي. على ما يبدو، هناك خطب ما مع موضوع الأسماء هذا. كرر عامل بمحل تصفيف الشعر، لم يسبق لي أن رأيته من قبل، اسمي بطريقة مثيرة للضجر. «هل أضع لك بلسمًا للشعر، لوثيا؟» «قهوة، لوثيا؟» «أمبول صغير لزيادة لمعان الشعر، لوثيا؟»

مؤخرًا، أصبح حتى موظفو شركات الهواتف ينادوننا بأسمائنا بكل ود للمطالبة بفواتير غير مسددة. تذكرت فجأة، كتابًا مشؤومًا أعارته فيرا لي: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الأشخاص. يؤكد مؤلفه أننا كأشخاص نحب أن نخاطب بأسمائنا. يبدو أن هذا هو السبب.

- إرنستو، أخبرتني فيرا أنك تحب السينما كثيرا.

- آه، أنا مولع بها. وخاصة السينما الصامتة.

حينئذ، شرع في الحديث بإسهاب عن تاريخ السينما.

- سأشرح لكِ، لوثيا. (تابع بحماس) عام 1915، تحولت السينما إلى جزء من فكر عصر تميز بالإنتاج المتسلسل.

تحدث أيضا عن بولا نغري وثيدا بارا وأدائها العظيم في سالومي.

- آه... ثيدا بارا! نموذج لمصاصة الدماء الشريرة.

مللت من الاستماع إليه. ولكن في الحقيقة، كان من الأفضل أن أدعه يتحدث. نصحتني فيرا «أرجوكِ، لو، لا تتحدثي عن أمور حزينة. لا يحب أحد التعساء. لا تنسي ذلك مطلقا. بووم، اشرئبي. عندما يلوح تفكير سلبي، كنت أردد بيني وبين نفسي: كل شيء في حياتي على ما يرام، كل شيء في حياتي على ما يرام، كل شيء في حياتي على ما يرام... آه، عندما تتحدثين معه، لا تكفي عن كيل المديح له. الرجال قد يقاومون أي شيء، إلا المديح. الثناء يصل إلى قلوبهم مباشرة».

t.me/qurssan

- مثير للاهتمام (قلت).

- آه، حقًّا، إنه موضوع مذهل (قال متحمسا). السينما، الصورة...

شعرت حينئذٍ، أثناء حديث إرنستو، بشيء مألوف، شيء جربته لمرات كثيرة مع بدرو، خصوصا في السنوات الأخيرة من زواجنا. كوني غير مرئية. كنت على يقين من أن الرجل الجالس أمامي كان ينظر إليّ ولكن لا يراني. كنت بالنسبة له مجرد رسم. مادة فضائية. العدم.

نهض فجأة من المقعد:

- عذرا، لوثيا، سوف أتبول.

شعرت ببرودة في الظهر.

عندما عاد، تحدث لفترة طويلة عن الوحدة الأوروبية، وعن تأثيرها على السينما، وانتقد العنف في الأفلام الأمريكية الحالية. قلت:

- أتفق معك.

استدعى النادل وطلب كأس ويسكي أخرى.

- هل لك في مشروب روحي، لوثيا؟

- نعم، كم أود ذلك.

- دعونا نرى، فلنر... كوانترو -قال مشيرا إلي بتعبير ينم عن تكهن.

- نعم، ممكن.

- واحد كوانترو للسيدة.

سألني بعد انصراف النادل، إذا كان لديّ أطفال.

- نعم. مورينا، ثماني سنوات.

t.me/qurssan

شعرت برغبة جارفة في أن أريه صورة مورينا. أن أحدثه عن أحداث حياتها، طريقة ضحكها، عن عناقاتنا الدببية. ولكن قمعت نفسي. يصيبني بالغثيان، وحتى من نفسي، تعبير الوجه الذي نظهره نحن الأمهات عند الحديث عن أطفالنا.

- كم دام عمر زواجك؟

- خمسة عشر عاما.

- آه، فترة طويلة.

- كانت علاقة قوية، ولكن حسنا... الزمن. لا أدري... أدركنا، ذات يوم أن الحب هرب منا إلى مكان آخر.

أومأ إرنستو برأسه علامة الإيجاب.

- وقبل ذلك؟ هل كان رفيقك العاطفي الوحيد؟

قلت وكأني أتحدث مع نفسي:

- لا. قبل بدرو دخلت في علاقة، فلنقل ارتباط عاطفي، ولكن لم نصل إلى العيش معا. في الحقيقة الآن لم يعد واضحا بالنسبة لي ما هو الحب. ما هو؟

- عذرا، سأذهب إلى التواليت (قال).

كان غريبا أن يذهب إلى المرحاض مرة أخرى. لم تكن له هيئة شخص يتعاطى مخدرات. ربما يعاني من مرض: تبول لا إرادي. أو مصاب بداء البروستاتا. أين موضع البروستاتا؟ كنت قد قرأت أن الرجال بعمر الخمسين تبدأ لديهم تلك المشكلة. ربما كان لهذا السبب.

عاد إرنستو تلمع عيناه، بتأثير الكحول ربما، وشرع في الحديث عن تيريسا، زوجته الأولى. قال بينما اتجه بنظره نحو الشارع:

t.me/qurssan

- تعرفت عليها في الكلية. كانت فائقة الجمال. فقدت النطق حينما رأيتها لأول مرة. اعتقدت أنها أجمل امرأة رأيتها في حياتي: نظرة، جسم، طريقة المشي... قمر.

ومع استرساله في استدعاء ذكرى زوجته الأولى، بدا وكأنه يغرم بها من جديد. بعينين حالمتين، اختتم حديثه قائلا:

- كانت تيريسا تعشق النباتات والقطط.

- أبناء؟

- لا.

- و... لماذا انفصلتما؟

- سؤال جيد...

تناول جرعة من الويسكي. وقال:

- لا أدري... تفاجأ الجميع عندما انفصلنا. أقاربنا، أصدقاؤنا... رأيتها لآخر مرة في المحكمة. أتذكر أننا تبادلنا العناق عند الوداع. عناق أخوي، وهذا كل ما في الأمر. حين وصلت إلى الناصية، استدرتُ ونظرت إليها مرة أخرى... لن أنسى مطلقا هذا المشهد. رأيتها من ظهرها، متأبطة الكتب، شعرها منسدل حتى الخصر... (حرك إرنستو مكعبات الثلج بسبابته) وحينئذٍ أدركتُ أن زواجنا قد انتهى (توقف لبرهة) وأننا لن نعود شبابا مطلقا كما كنا.

غرقنا في الصمت. عاد لتحريك الثلج بإصبعه. صدر عن الثلج صوت: كليك-كلاك، كليك، كلاك. وبدا لي أن تلك كانت الموسيقى الوحيدة المحتملة في الكون. سألته:

t.me/qurssan

- هل تعرف فيرا منذ فترة طويلة؟

- نعم، منذ عدة سنوات. تعرفت عليها عن طريق إخصائي التدليك المشترك، الدكتور لينغ. ثم أصبحنا زملاء التاي-تشي، مع الدكتور لينغ نفسه. إنها مجنونة رائعة. وأنتما، تعرفان بعضكما منذ وقت طويل، أليس كذلك؟

- نعم، منذ كنا فتيات صغارًا.

ألجم التثاؤب إرنستو. قلت:

- يبدو أن الوقت قد تأخر بالفعل. كم الساعة الآن؟

- الثانية عشرة.

- غدا يجب أن أقابل مورينا مبكرا بسبب موضوع جديها.

- نعم، أنا أيضا أنهض مبكرا لممارسة كرة المضرب. يمكننا الانصراف كما تشائين.

- نعم.

طلب إرنستو الحساب.

تعرف على قاعتنا

الدور الأول

مخصصة للاجتماعات

أعياد الميلاد

حفلات التوديع

في الشارع، ريح باردة تمزق الوجه. قلت:

t.me/qurssan

- ياله من برد ... أمقت البرد.

- حقا؟ أنا أعشق الشتاء. يزيدني حيوية. ولكن أنا على قناعة أن النساء لديهن تيرموستات مختلفة. تشكون من البرد دائما.

عندما أوصلني إلى المنزل وطبع قبلة على خدي قال لي:

- كان جميلا التعرف عليكِ. سأتصل بك في يوم من هذه الأيام لكي نذهب إلى السينما.

- تمام. نتواصل.

- تشاو -قال موصدا باب سيارته الحمراء.

عندما دخلت البيت، ذهبت إلى المطبخ وأعددت شطيرة جبن مع لحم خنزير مدخن. أزلت المكياج، وضعت كريمًا مرطبًا للجفون وعلقت الحلة الخضراء على شماعة. وما إن دخلت الفراش حتى أخذت أردد بصوت خفيض:

- كل شيء في حياتي على ما يرام، كل شيء في حياتي على ما يرام، كل شيء في حياتي على ما يرام.

بعد ذلك، تكورت على نفسي مثل يرقة تحت الأغطية ورحت في سبات عميق حتى اليوم التالي.

t.me/qurssan

عبق الكتب

أحب عملي الجديد. أحب هذه المنطقة من بوينوس أيرس: واجهات مبانيها، أعمدة إنارتها الضخمة، أجواؤها الباريسية. أحب التواصل مع الناس، وبصفة خاصة التواجد بين الكتب.

أعشق الكتب منذ أن وعيت على الدنيا؛ ليس مجرد قراءتها فحسب أو مشاهدة رسوماتها، بل إقامة علاقة أكثر حميمية معها، ما أسميه اتصالا جسديا. كان بوسعي منذ نعومة أظفاري قضاء ساعات في المكتبات، متوقفة أمام فتارينها الزجاجية، متأملة أغلفة الكتب، مستشعرة ملمس الورق بين يدي، متشممة رائحتها. لأن أكثر شيء يبهرني هو عبق الكتب.

كان بدرو يسخر من ولعي، قائلا إنه ربما من شدة رغبة أمي في محو أميتنا، اعتادت أن تضع كتبًا بالقرب من فراش مهدنا بدلا من اللعب.

مالك مكتبة «أداغيو» السيد فورمان، رجل شديد التوتر مثل سنجاب، ذو لحية حمراء وعينين زرقاوين تشعان حيوية. يدخن سيجارا كوبيا بدون توقف ويسير بخطوات قصيرة وسريعة. انتابني شعور في المرات التي رأيته فيها أنه على عجلة من أمره ومذعور، وكأن شيئا -أو شخصا- يلاحقه بينما يبحث هو عن سبيل للهروب.

لا يُعرف الكثير عن حياته الشخصية. سمعت (بيا)، إحدى النادلات اللاتي يخدمن الموائد، ما قيل عن إن السيد فورمان منفصل منذ سنوات

t.me/qurssan

طويلة وأنه لم يتزوج مرة أخرى. يقول آخرون، إنه على ما يبدو، يعيش مع امرأة تحمل اسم أميرة -أنستاسيا- ونادرا ما يذكرها، وتنسج حولها شتى صنوف القصص ولكن لم يرها أحد تتردد على المكان مطلقا.

ذات صباح، بعد مساعدتي في ترتيب بعض الكتب، مكث يتحدث معي لفترة. سألني عن عائلتي، طفولتي، وعاداتي. سألني بالتحديد عن أمي، التي عرفها في شبابه، وما زال يتذكرها كامرأة رائعة الجمال والشخصية. ثم حكى لي أنه مارس تدريس الطب لفترة طويلة في الكلية، وهي مهنة أنهكته كثيرا فتركها ليحقق حلمه القديم.

قال بابتسامة عصبية بينما يداعب غلاف كتاب:

- لطالما رغبت أن يكون لديّ مكتبة... أتعرفين، أنا أنحدر من أسرة من الفنانين. يهود من وسط أوروبا، قوم مرهفو الحس. كان والدي شخصا متفائلا، قوي البنيان، عاشقا لأطايب الطعام والموسيقى. كان مغني أوبرا ذا صوت قوي بدأ الغناء في المعابد اليهودية، مثل توكر. على العكس، كانت أمي عاشقة للرسم. كانت الرقة متجسدة؛ وما إن تفرغ من مهامها المنزلية حتى تبدأ في رسم لوحات مائية: مشاهد دقيقة من طفولتها في المجر. فورثت عنها حب الفن.

اقترب مني أكثر وأضاف مبتسما، وبصوت خفيض:

- أنا مثلك، لوثيا... أعشق عبق الكتب.

يوجد بين زبائن «أداغيو» أشخاص شديدو الخصوصية، أشخاص مثيرون للاهتمام بالفعل. أما الباقون فيطلق عليهم السيد فورمان «النكرات». سأبدأ بالنوع الأخير. من السهل التعرف على النكرات، على عكس ما يحدث مع المثيرين للاهتمام.

t.me/qurssan

يبالغ «النكرات» في العناية بملبسهم، يضعون عطورا قوية ويرتدون أحذية غالية، ويقحمون جملا بالإنجليزية، ويصفون الواقع بأنه «شيق» إلى حد ما. الأسبوع الماضي، انتقت سيدة كتابا عن المجوهرات في مصر القديمة من أجل عيد ميلاد زوجها وسألتني:

- هل يمكن أن أعيده، في حالة لم يجده زوجي مسليا؟

يبني آخرون من نفس النوعية اختيارهم على أساس حجم الكتاب أو ألوان صورة الغلاف. يجتهدون لكيلا تتنافر الكتب مع باقي الأثاث أو مع لون الستائر.

يميل الزبائن المثيرون للاهتمام، بصفة عامة للعزلة، بسبب تعرضهم لأحد صنوف المعاناة. يجذب انتباهي بصفة خاصة اثنان منهما. عجوز إنجليزية تدعى الآنسة بيجي والسيد كاريو.

تجاوز كاريو الستين من عمره بقليل، طويل القامة، متيبس، مرجل الشعر بالفازلين، ذو شارب رفيع، وحلة زرقاء. اعتاد المجيء لتناول الغداء أيام الاثنين، في تمام الساعة الواحدة. بمجرد دخوله يتجه نحوي، ويغمز لي بعينه، وبابتسامة يطلب مني تشغيل، يوم ما تحبينني، السكرة الأخيرة، مثل غريبين أو «أي تانغو جدير بالاستماع». بحسب ما أخبر (بيا)، كان والده من أعز أصدقاء غارديل وترك له ميراثا عبارة عن الكثير من أسطوانات الفونوغراف، خطابات مكتوبة بخط اليد وبعض أسرار حياته العاطفية. كل عام، في الرابع والعشرين من يونيو، يذهب السيد كاريو إلى مقبرة تشاكاريتا لزيارة قبر غارديل ووضع باقة من زهور البنفسج على شاهد القبر.

على العكس، تأتي الآنسة بيجي في فترة الظهيرة لتناول الشاي. اندهشت حين رأيتها لأول مرة. بدت من هيئتها عجوزا هاربة من «قطار الشرق السريع». ضئيلة الحجم، معتزة بنفسها وجميلة، ترتدي قفازات وقبعة

t.me/qurssan

سومبريرو بيج وبلوزة من الباتيستا حوافها مطرزة يدويا.

تحب ميس بيجي الجلوس بجوار النافذة، التهام كعكة التوت بالكريمة وارتشاف شايها الأسود على مهل بينما تتصفح أحد الكتب. ثم تقترب مني كالمعتاد وتسألني إذا كان قد وصَلَنا جديد عن فن البستنة. وعندما أجيبها بأنه لا يوجد جديد، تحتج قليلا وبعد ذلك -وكأن هذا هو كل ما يهم في الكون-. تحكي لي بحماس مستجدات حديقتها. تحدثني عن تطعيم النباتات، السماد العضوي، مبيدات الآفات، وعن زهورها بصفة خاصة، والتي تتحدث عنها وكأنها بناتها. تقول:

- كل زهرة لها مزاجها الخاص، على الرغم من أن القليل فحسب يعرفون.

تعلمت من ميس بيجي تواضع زهور السوسن، رصانة زهرة الربيع والسعادة الجذلة لعباد الشمس وحزن زهور البنفسج. تحضر لي أحيانا صورا لحديقتها. تقول إن على الانسان اختيار أسرته، وإنها اختارت عائلتها.

ذات مساء سألتها إذا كانت قد فكرت في يوم من الأيام في الزواج. أجابت:

- *Me, marriage? No, not at all*.. لاحظت، ميس لوثيا، أنه مع مرور السنين ينتهي الأمر بتحول الأزواج إلى أشقائنا أو أعدائنا. لدي أشقاء، أما الأعداء (ابتسمت) فما الداعي...؟

عند رحيلها حيّتني، ملوّحة في الهواء بيدها مرتدية القفاز، وبصوت تشوبه عذوبة مصطنعة قالت:

- (*Until tomorrow, Miss Lucía*).

t.me/qurssan

عيد ميلاد

غريب أمر أعياد الميلاد. ستة وأربعون عاما. يصعب عليّ تصديق ذلك. تقول فيرا إنه يتعين على الواحدة تكرار الاحتفال به حتى يترسخ في الوعي. أقول متطلعة إلى نفسي في المرآة:

- لوثيا آياس. ستة وأربعون عاما.

تخيلت في طفولتي امرأة أربعينية، سيدة تعمل ولديها أطفال، شعرها أشيب ترتدي تنورة صوفية تغطي الركبتين. المرأة التي أتطلع إليها في المرآة ترتدي الجينز والحذاء الرياضي الفضي. بعيدة تماما عن تلك الصورة. أتذكر حوارًا دار مؤخرًا بيني وبين السيد فورمان. قال لي:

- حين بلغت الخمسين ترسخ شيء بداخلي. فقلت لنفسي حسنا. وها نحن. على الأقل تيقنت من شيء: لم أعد شابا بعد الآن.

قال إنه ارتاح لتمكنه من الخروج من تلك المنطقة المقلقة الزلقة التي كان فيها بين الأربعين والخمسين التي تجعله يشعر بأنه عجوز بين الشباب، وشاب بين العجائز. اليوم راودني شعور مشابه. كنت أتصور أثناء زواجي من بدرو أنني بلا عُمر. يمضي الزمن بإيقاع مختلف أثناء الزواج، ثم يتوقف بطريقة مفاجئة، تجعلني أعتقد أنني ما زلت أحتفظ بنفس السن منذ بداية علاقتنا.

الآن تغير الحال. بعد الانفصال عثرت على صورة مشوشة لي تعيد تعريف نفسها باستمرار من خلال نظرات الآخرين. حين أكون مع فيرا أو

t.me/qurssan

أتحدث مع السيد فورمان أشعر بأنني شابة، لكن عندما يتنهد دودي مأخوذًا بسحر محبوبته الصغيرة كارلوتا، أتحول في لحظة، لسيدة عجوز طاعنة في السن، وكأنه سحر.

بدأت عيد ميلادي بموسيقى لجيروم كيرن وإفطار خصوصي شاي بالياسمين وكعكة تفاح أعدتها أنجيلا.

استقبلت على مدار اليوم العديد من المكالمات التليفونية وبعض الرسائل تتضمن عبارات رقيقة. بابا، ميراندا، دودي، طلاب وطلاب سابقين، أصدقاء، معارف تسجل تواريخ الميلاد، ولتدهشنا برقتها، سألتني بولا كم عاما أتممت، والسيد فورمان وبيا. وبدرو، قال:

- تهانيَّ لو.

ذلك فحسب، مع التسليم بأنني سأتعرف بدون شك على صوته. أدهشني أكثر من اتصاله، الحميمية في «لو». لم أسمع اسمي يُردد بتلك الطريقة منذ وقت طويل. تحدثنا بضع دقائق. سألته عن تطور مسألة إمكانية السفر إلى إسبانيا. أجابني ضاحكا أن بيرالتا راموس البدين لم يكن مجنونا إلى هذا الحد عندما كان يقف على موائد حانات بوينوس أيرس لإلقاء أبيات شعر هذيانية، مثل التي تقول: «أفضل ما في أوروبا الثياب: أما أنا فأحب هنا، أما أنا فأحب هنا، أما أنا فأحب هنا». أخبرني أيضا، بأنه أدرك، بعد قضاء خمسة عشر يوما في برشلونة، أنه لا يستطيع العيش إلا في مدينته الصاخبة والضبابية، بوينوس أيرس. سألني بعد ذلك عن والدي وأنخيلا وعن عملي الجديد. قال:

- لدي رغبة في رؤياك.

لذت بالصمت للحظات. ثم قلت له إنني سأتصل به حين يتوافر لدي الوقت. فأكد قبل إغلاق الخط:

t.me/qurssan

- سأنتظر مكالمتك.

أهدتني مورينا منديلا من الحرير الإيطالي في منتهى الجمال -من اختيار أبيها بكل تأكيد-، أما فيرا فأهدتني دمية من القماش لكي أتحدث قبل النوم، مع «طفلتي الداخلية»؛ والسيد فورمان كونشرتو الكمان والأوركسترا لتشايكوفسكي، أداء نايجل كينيدي، في نسخة مذهلة.

كان أمامي برنامجان محتملان في المساء: دعوة من دودي للعرض الأول من فيلم «السفينة الشبح» واقتراح من ميراندا لعشاء جماعي مع فيرا، جاتشي، أليسيا، أدريانا وكلودين. لم أتحمس كثيرا لأي من العرضين. يغلبني النوم مع أعمال فاغنر الأوبرالية، ويصيبني الاكتئاب من تجمعات النساء. تضجرني تلك الحوارات التافهة التي تنتهي دوما بالحديث عن الرجال. هم وذكوريتهم المزعجة، افتقارهم للحس، وارتعابهم من المسؤولية، وافتقادهم للباقة، ويتخلل ذلك تعليقات شرسة حول حجم ذواتهم وقضيبهم.

قررت أن أفضل طريقة للاحتفال بعيد ميلادي هي البقاء في المنزل مع مورينا وأن نشاهد معا فيلما في الفراش.

كعادتي في كل أعياد ميلادي، كتبت قبل النوم قائمة أهدافي. تعهدت لنفسي بممارسة حمية غذائية، أن أكون أكثر قوة وشجاعة، استئناف دروس الكمان وإنجاز الأشياء الكثيرة الأخرى التي تعهدت بها لنفسي في السنوات الماضية والتي لسبب أو لآخر لم أتمكن من إنجازها.

t.me/qurssan

بابا

اتصلت ميراندا هذا الصباح لتخبرني أن أبي أجريت له عملية جراحية. قالت:

- التهاب الغشاء البريتوني، كان يجب إخضاعه لتدخل جراحي بصورة عاجلة.

- كيف حاله؟ (سألت).

- على ما يبدو كل شيء على ما يرام. في مستشفى باتزريكا، وحدة الرعاية المتوسطة. أراكِ هناك.

أقترب من الفراش وأتناول كفي أبي. إنها باردة. وهو نائم، ربما من تأثير المخدر أو يفضل اللجوء، كما اعتاد دائما، إلى ركنه الظليل. أداعب وجنته برقة فيفتح عينيه للحظة. لا يبدو مدركا أين هو. أخاطبه بصوت الطفلة الذي لا يصدر عني إلا عندما أكون بجواره:

- مرحبا، بابا. إنها أنا: لوثيا.

يضغط على يدي. متصل بذراعه محلول في عبوة بلاستيكية. تقول ميراندا بصوت خفيض:

- يالشحوبه.

تغير أبي كثيرا في السنوات الأخيرة. لم يتبق سوى القليل من الرجل

t.me/qurssan

الشامخ والقوي الذي كان في شبابه. اليوم غارت وجنتاه، نحل ذراعاه وحفرت تجاعيد عميقة جبهته وحول فمه، ويدمع باستمرار من تأثير نوع من الحساسية. تعرض منذ عدة سنوات لالتهاب في الأذن، جعله شبه أصم. ويرفض، بدافع الخجل، الكبرياء أو الحماقة، استخدام سماعات أذن. يعاني منذ فترة طويلة من داء الباركنسون، ما يجعله يتحرك ببطء كما يسبب له رعشة في اليد اليمنى.

عندما نلتقي أتحاشى النظر إلى تلك اليد. أكاد أفضل ألا أراه على الإطلاق. لا أريد أن أرى الرجل الذي صار إليه.

أصابت الشيخوخة أبي فجأة. لم تكن شيخوخته سقوطا بطيئا، مثل بولا، بل انهيار مفاجئ، هوة سحيقة. يمكن القول إنه في الرابعة والسبعين من عمره أصبح والدي عجوزا مسنا.

تدخل الحجرة ممرضة لها وجه لوحة زيتية هولندية (وجه قمر)، زي موحد أزرق سماوي وحذاء أبيض بنعل مطاطي (حذاء يحدث صريرا مع كل خطوة).

تقترب من الفراش، تقيس الضغط والحرارة وتدون ملاحظات في مفكرة أخرجتها من أحد جيوبها. تساوي الملاءات والوسادة. تسأله إذا كان يشعر بالعطش، وعلى الرغم من أنه لا يرد، ترطب شفتيه بقطعة شاش. تقول لنا بصوت معدني إنه ليس من الجيد تواجد أشخاص في الغرفة. وتضيف:

- المريض يحتاج للهدوء.

قبل أن ترحل تسأل بولا:

- حضرتك الزوجة، أليس ذلك؟

- نعم (تقول أمي).

t.me/qurssan

- هذه القصرية عندما يحتاجها زوجك. وهذه قطع شاش مبللة. في الوقت الراهن، لا يستطيع الشرب من الكوب.

تومئ بولا برأسها.

تبدو أمي مذعورة بدون تبرج، بشعر رمادي مشعث، منكمشة في مقعدها، إلى جوار سرير بابا. لا أدري إن كان ذعرها بسبب صحة أبي أو بسبب وضعها في هذه القصة. الحياة لم تعدها لهذا الدور. لا تعرف بولا سوى التألق، أن تكون محور المشهد، البريما دونا. من الصعب تصورها بالقصرية في يدها أو تساعد في تغيير ضمادات جرح. ومع ذلك يتعين عليها القيام بذلك.

أشعر بسعادة غامرة. بطريقة أو بأخرى، لدي قناعة بأنها هي التي دمرت والدي. سألت ميراندا:

- متى بدأ يداهمه المرض؟

- لا أدري... (تقول بولا بعد تردد لعدة ثوان). بالأمس لم يرغب في تناول العشاء. اعتقدت أنه ليس جائعا. بعد ذلك، أيقظني في الفجر، شعر بآلام حادة وأصابته حمى شديدة. اتصلت بالطبيب على الفور، وما إن رآه، طلب سيارة إسعاف بصورة عاجلة.

تخيلت قبضات أبي تنهال ضربا على حجرة أمي، مستغيثا. ينامان منذ سنوات طويلة في غرفتي نوم منفصلتين، يجمعهما، مثل الكثير من الزيجات، اللامبالاة، الضغينة وخيبة الأمل.

أتذكر الليلة التي لم يعودا بعدها للنوم معا. أعتقد أنه كان يوم سبت. كانا قد ذهبا إلى حفل في منزل عازف بيانو صديق لأمي. تلك الليلة، ارتدت هي ثوبا طويلا أحمر اللون بفتحة صدر كبيرة للغاية. حينما عادا، كنا ميراندا وأنا ما زلنا مستيقظتين في غرفتنا نستمع -أذكر ذلك جيدا- الجانب

t.me/qurssan

المظلم من القمر، لفرقة بينك فلويد. فجأة، سمعنا صراخًا قادمًا من حجرة المعيشة. كانت أمي تبكي بطريقة هيسترية وتنتحب بصورة غريبة عليها، وأبي يكيل السباب باللغة العربية، بصوت هادر، لم يسبق أن سمعناه من قبل. أخافني تصور أن ذلك الرجل الحنون، بمظهره شديد الهدوء، قد يخفي كل هذا الغضب.

تلك الليلة رحلت أمي عن المنزل وعادت بعد أسبوع بشعر مصبوغ بلون مختلف. لم نجرؤ مطلقا على سؤال ماذا حدث، ولكن في نفس تلك الليلة نصب أبي حجرة نومه في غرفة الضيوف وبقي هناك إلى الأبد.

- سأخرج قليلا (قالت ميراندا). أرغب في التدخين.

أخرج وراءها.

أخبرونا بأن البار في الطابق الثاني من دور الميزانين. اخترنا طاولة صغيرة في الركن. لم ترقني مطلقا حلوى المستشفيات. تصيبني بالحزن. ربما يرجع ذلك لوجوه أقارب المرضى المنهكة التي ترتسم عليها المعاناة بعد ليالٍ بلا نوم. وربما بسبب المرضى الضعفاء الشاحبين الملفوفين في ثوب المستشفى. الأطفال الضجرون، نافدو الصبر للعودة إلى المنزل. أو رائحة المطهرات التي تبعث على الأمل والموت وتعبق كل شيء حتى القهوة.

قبّلتنا عمتي (لطيفة) شقيقة بابا، بحنان، وجلست معنا. طلبت قهوة بالحليب. وقالت:

- أتيت لرؤية رفائيل. غرق في النوم، يا حرام. (*iaharam*) هكذا أفضل.

العمة لطيفة هي الكبرى بين أشقاء بابا السبعة. ولدوا جميعا في سوريا، في دمشق، وجاءوا إلى الأرجنتين بالباخرة وهم في سن مبكرة. كان بابا في الثالثة عشرة من عمره. أصغر السبعة، والمفضل عند والدته.

t.me/qurssan

كانت الجدة أميليا، امرأة مفعمة بالحيوية، ضئيلة الحجم، لها عينان سوداوان شرستان، زوجوها في الرابعة عشرة من عمرها برجل لم يسبق لها أن رأته من قبل، ومع ذلك عاشت معه زيجة سعيدة طوال حياتها.

على عكس أبي، احتفظت العمة لطيفة، في الثمانين من عمرها بجسد مشدود مفعم بالحيوية. تطلي شفتيها بالأحمر الدموي القاني وأظافرها بالمثل، ترتدي أثوابا مزينة بالزهور، وتضع دائما (مثل الجدة) الكثير من الأساور الذهبية في ذراعيها تصدر رنينا كلما تحركت. تحب لعب الورق، التمشية، إعداد حلوى شرقية وسرد قصص عن الأسرة.

- مسكين رفائيل (قالت وكأنها تتحدث عن طفل صغير). نجا بأعجوبة. أخبرني الطبيب أنه أجرى الجراحة في الوقت المناسب وأن العملية نجحت. ولكن بضع ساعات أخرى كانت غيرت مجرى الأحداث.

قالت أيضا إن بابا عانى كثيرا في الآونة الأخيرة. (كان إفلاس شركته ضربة كبيرة) وأضافت بينما تحتسي قهوتها على رشفات كبيرة (وهب لها كل حياته... وسارت الأمور جيدا معه... بعد ذلك، لا أدري، ربما بسبب طموح بولا الزائد أو من يدري... شيء ما دفعه للزج بنفسه في أمور غامضة ومن وقتها حلت الكارثة. لقد عبث مع ذلك البائس... مع ذلك الـ... وقالت لفظًا نابيًا باللغة العربية ثم هزت رأسها يمينا ويسارا. علاوة على أن كثرة الشجار مع بولا أماته حيا...

لم تخف ميراندا استياءها عند سماع اسم والدتها. لا تتكلمان هي وبولا منذ سنوات. وكافحت شقيقتي طويلا لتبدو مختلفة عن أمي، ومع ذلك (الطريف) أنها مع الوقت تزداد شبها بها. نفس العينين، الثلجيتين مثل النعناع، نفس الابتسامة، نفس حركات الأيدي. أعتقد أن الجسد يتحلى بالحكمة، وإذا لم نكن مسؤولين عن لون شعرنا أو شكل أنفنا، على العكس

t.me/qurssan

نتحمل مسؤولية طريقة نظرتنا، ابتسامتنا وحركات أيادينا، التي تكشف على نحو ما، عن خيار الروح.

قالت العمة مهمومة:

- من بين جميع الأشقاء كان رفائيل مختلفا إلى حد ما. حينما كنا نعيش في دمشق، لم تكن الأسرة تملك الكثير من المال، لكن كانت هناك سعادة (وأطلقت ضحكة مجلجلة). نحن العرب نحتفي بالحياة... نحب الاحتفال، الطعام الرقص، الضحك. وكانت أمي تعشق رفائيل، كان ضربا من الجنون حبها لذلك الصبي. ومع ذلك، كان طفلا انطوائيا، صموتا، منغلقًا على نفسه... أتذكر ولعه بالموسيقى الكلاسيكية... وكان يقول إنه سيصبح قائد فرقة أوركسترا. أعتقد أنه أخذ دروسا في الكمان، لدرجة أنه... امتلك مجموعة ضخمة من الأسطوانات وكان يقضي فترة الظهيرة في سماعها واقفا على مقعد، أمام المرآة، يحرك إبر التريكو الخاصة بالجدة، وكأنه يقود أوركسترا خيالية.

ابتسمت حينما تذكرت ذلك. سألتنا بعد ذلك كيف تسير أمورنا. و«أمورنا» هو التعبير الذي تستخدمه لتعرف كيف حال عملنا ومشاغلنا. أما فيما يختص بعلاقاتنا العاطفية فتفضل ألا تعلم عنها شيئا. أتصور أنه بالنسبة لها تبدو حياة ميراندا، التي تزوجت مرتين وأقامت عدة علاقات عاطفية مستقرة وغير مستقرة، نوعا من الفجور. كما لا تتحدث عن انفصالي. بالنسبة للعمة لطيفة، الانفصال والطلاق، وغيرها من الأمور، لا تعد موضوعات الأشخاص المحترمين.

- وكيف حال مورينيتا؟ لم أرها منذ فترة.

أظهرت لها صورة حديثة فقالت إنها تمام شبه الجدة أميليا. نفس العيون.

t.me/qurssan

- وتصاويرك، عزيزتي؟ (سألت ميراندا).

- رسوماتي، يا عمة. أنا لا أرسم لوحات، بل أصمم اسكتشات.

- معذرة، عزيزتي، يختلط علي دائما، كيف حال ذلك؟

حكت لها ميراندا أنها على وشك افتتاح معرض بقاعة براكسيس، الخميس القادم.

- كم يسعدني حضورك يا عمة.

- سأحضر بالتأكيد، عزيزتي.

ودعتنا بعد برهة، بقبلة طبعتها على الوجنتين وأوصتنا بالاعتناء بـ بابا.

- سوف أمر غدا لأطل عليه قليلا، بعد ذلك سوف أدعوكما للغداء بالمنزل.

- موافقة (قالت ميراندا).

- رائع. سوف أعد لكما كبة (*keppe*) في الفرن أو محشي ورق عنب. كما سأريكما صورة عثرت عليها للجد ليون وهو يدخن النارجيلة مع رفاق الدراسة، في دمشق. سوف ترون كم كان الجد فتى وسيما، وكم كان شخصا مميزا. له نفس هيئة شخص متفاخر مثل رفائيل في شبابه...

t.me/qurssan

قالب قدم

سألتني ميراندا إذا كنت أفتقد بدرو. قلت لها، لا، لم أعد أفتقده. وهذا يعد نصف الحقيقة.

في البداية كنت أفتقده. ويسبب لي غيابه ألما عنيفا، يكاد يكون جسديا. وحلمت به كثيرا، تخيلت أنني أراه في الشوارع، أسمع خطواته أو أميز ضوضاء مفاتيحه في قفل الباب.

تأخرت في استيعاب أن وجوده في حياتي كان مجرد ظاهرة جغرافية. افتقدت، نعم، جسده على رأس المائدة، في فراشي، على مقعد الفوتيه في غرفة المعيشة، في السيارة. ولكن ليس أكثر من ذلك. لم يتبق من زواجنا سوى شذرات: أحلام ضائعة، أو ذكريات مشوشة عن لحظات سعادة، نتعلق بها بعيون مغلقة. خلال الشهور الأخيرة، أخذت ذكراه تتلاشى. ساعد على ذلك عاداتي الجديدة، العمل خارج المنزل، وعدم التقائنا.

بالرغم من ذلك، حدث أمس شيء غير متوقع، جعلني أفكر في ذلك الخيط غير المرئي الذي يربطنا بالماضي وأهمية قطعه لاستعادة هويتنا.

بعد عودتي للعمل، طلبت مني مورينا، دراجتها. تذكرت أننا في نهاية الصيف حفظناها في حجرة الخزين، مع أشياء كثيرة غير مستخدمة. حين بحثت عنها، فاجأني، العثور خلف حقيبة سفر، على أحذية قديمة لبدرو. اعتاد استخدامها وهو يرسم أو يقوم بأية إصلاحات في المنزل.

t.me/qurssan

كانت مستهلكة، يكسوها التراب، وبها بقع ألوان زرقاء. التقطت حذاء ونظرت إليه بإمعان. نظرت إلى القالب الذي شكّله مشط القدم، النعل الذي نحل من الجانب الخارجي، بروز الأصابع مطبوعا في ذاكرة الجلد البني. هزني المشهد. على غرار ما يحدث أحيانا مع بعض الثياب، التي تتأنسن بفعل الزمن والاستخدام المتكرر. لم يكن أمامي مجرد حذاء لبدرو، بل قدمه: دافئا، نابضا، مفعما بالحياة.

بصورة عبثية، بقيت لفترة طويلة جالسة على الأرض، بين متعلقات قديمة وجدران رطبة، وحذاؤه بين يدي.

فكرت حينذٍ أنني ما زالت أحبه وأن الحب ربما لم يكن أكثر من ذلك. مجرد ألم مفاجئ نتيجة ذكرى قالب قدم.

t.me/qurssan

فيلكس

تعرفت على فيلكس أثناء افتتاح معرض رسومات ميراندا. بدا لي رجلا في منتهى الجاذبية. عظام الوجنات تلك وكأنها قدت من خشب، عيناه العسليتان، ووشم النسر على ظهر كف يده. درجة لون بشرته. دفعني سبب ما لتخيله ممتطيا جوادا أبيض العرف من الغرب البعيد الرومانسي وفي ضوء خافت، حافي القدمين وعاري الصدر. ارتدى تلك الليلة قميصا أبيضَ، مشمر الأكمام (لطالما بدا لي الرجال في القمصان البيضاء جذابين)، صديريا أخضر كاكي، وكاميرا تصوير فوتوغرافي معلقة في كتفه.

اقترب مني وقال:

- شقيقة ميراندا؟

أومأت بالإيجاب.

- تصورت ذلك.

ابتسم. أضاءت أسنان ناصعة البياض صفحة وجهه.

- حدثتني ميراندا عنكِ. تعرفت عليكِ لأن لديكما ملامح متقاربة... من شكل اليدين.

نظرت إلى يدي بشكل غريزي.

- إنهما رقيقتان ورشيقتان مثل زعانف سمكة.

t.me/qurssan

بدا من طريقة حديثه أنه صديق لفيرا على الأرجح. سألته أين تعرف على شقيقتي.

- كنا زميلين في الفنون الجميلة؛ درسنا معا في البويريدون. ارتبطنا في تلك الفترة بصداقة قوية، واستمتعنا كثيرا أثناء المحاضرات. ولم نلتق منذ فترة طويلة. قضيت عدة سنوات في فرنسا ثم عدت منذ فترة قصيرة. عرفت بأمر المعرض عن طريق صديق، وأردت أن أحضر لها مفاجأة. سعدت برؤيتها مجددا.

- هل ما زلت تعمل بالرسم.

- لا، ليس بعد. أنا معالج بدني.

لا أدري أي تعبير ارتسم على وجهي، حيث أضاف:

- يبدو غريبا، أليس كذلك؟

ضحكت.

- قليلا.

- أعمل بتقنيات سيكولوجية الجسد. الحركة، تناغم الطاقة، تحرير الصوت، المساج. على حسب الحالة...

تفرست في يديه الكبيرتين والسمراوين وتخيلتهما فوق ظهري. تحدثنا قليلا عن الجسد ولغته، ورسائله وأسراره. قال فيلكس:

- عادة تكون الكلمات كاذبة. قناع. على العكس، الجسد شفاف.

- هذا حقيقي (قلت). تقل ثقتي في الكلمات باستمرار، بما في ذلك كلماتي. وبماذا يخبرك جسدي؟

تفرس فيّ بإمعان ثم قال:

t.me/qurssan

- فلنر. جسدكِ يقول إنكِ انطوائية نوعا ما، طفولية، وهشة و...

لاذ بالصمت، متفحصا جسدي بعينين مسبلتين. فكر للحظات، كمن يبحث عن الكلمات:

- أنكِ وحيدة.

- آه، ها أنت! (قلت محاولة الابتسام).

- منذ متى انفصلتِ؟

- أوشك على إتمام تسعة أشهر.

سألته إذا كانت له علاقة عاطفية.

- لا، ليس الآن. حظيت بزيجتين ورفيقة عاطفية لمدة ثلاث سنوات. عشت مرتبطا عاطفيا لوقت طويل (ابتسم). لنقل وقت طويل للغاية. أنا وحيد منذ عامين. وفي الحقيقة... أنا بخير هكذا. كنت في حاجة إلى هذه الهدنة لاكتشاف نفسي.

- أتفهم.

دعاني بعد ذلك إلى منزله، بمنتهى التلقائية لدرجة أنني اندهشت من صوتي وهو يرد عليه بالإيجاب.

- أعيش على مسافة مربعين سكنيين من هنا. أدعوكِ لتناول شيء وسماع الموسيقى.

ودّعنا ميراندا، التي كانت ممسكة بكأس في يدها، ومحاطة بمجموعة من الأصدقاء. قال فيلكس وهو يلف يده حول خصرها:

- سأكلمك خلال الأسبوع. يجب أن نعرف آخر الأخبار.

- وهو كذلك (قالت هي). اتصل بي.

t.me/qurssan

همست في أذني وهي تودعني قائلة:

- حظًا سعيدًا.

عندما دخلنا، خلع فيلكس حذاءه ودعاني لخلع حذائي. يسكن في علية فسيحة تطل على مبنى ليبرتادور. تتألق أضواء المبنى الرخامي الأبيض تحت أقدامنا. يوجد بالمكان نوافذ كبيرة، تُرى من خلالها حديقة لزهور الأرطاسيا وحوض سباحة مضاء بمصابيح زرقاء. في الداخل، يوجد سرير ضخم بملاءات حريرية، بيانو كبير، تيليسكوب وطاولة منخفضة بوسائد على الأرض. على الجدران: صور. غالبيتها عُري. الموديل امرأة نحيلة بارزة العظام، ذات ملامح قاسية وذكورية إلى حد ما. في الحقيقة بدا من الصعب تحديد بدقة ما إذا كانت امرأة. سألت:

- هل التقطتها أنت؟

- هذا صحيح.

- إنها جيدة. هل الموديل امرأة؟

- مم... لنقل إنها كذلك.

أتطلع إليه لكي يحكي لي المزيد، لكنه لا يفعل. أومأ إليّ بإشارة كي أجلس وجلسنا على وسائد كبيرة وبرية بلون الدُّمقس. أشعل بخورا وشغل موسيقى لكارلوس سانتانا: امرأة السحر الأسود (*Black magic woman*). سألني ماذا أريد أن أشرب.

- مشروب مرطب (أجبت).

- ماء، شعير أم جعة؟

- جعة.

t.me/qurssan

عاد بزجاجة هاينكن ووعائين من الخزف. أخبرني أثناء تقديم الجعة:

- هذان الكوبان هدية من ابني الأصغر. صنعهما في المدرسة، في حصة الفنون التشكيلية.

- رائعان.

- برغوة أم بدون؟

- برغوة.

تناول أحد الكوبين ورفعه لمستوى نظره. وبعد تقليبه بين أصابعه والتفرس فيه بعناية، أضاف:

- عادة ما يفعل أبنائي هذه الأشياء المريعة.

ضحكنا.

- أنا أيضا لدي في المنزل أعمال طليعية من صنع مورينا: مزهرية معوجة مثل برج بيزا. مطفآت سجائر مشوهة وتماثيل ملائكة بتعبيرات فاجرة.

- في عائلتي (قال)، الفنان هو ابني نيكولاس. يعيش في باريس، مع بوني، والدته. سأذهب إلى هناك خلال بضعة شهور. سأقضي عاما لتلقي دورة دراسية في علاج اعتلال العظام في تولوز.

تناول رشفة من الجعة، توقف ثم قال:

- الأماكن المزدحمة بالناس تسلب مني الطاقة. هل يضايقك لو استرخيت قليلا؟

- لا، لا.

شرع حينئذ في الرقص مغمض العينين، متنقلا بين جميع أرجاء المكان، على إيقاع سانتانا المتسارع. أخذت أتطلع إليه وهو يرقص، بينما أحتسي

t.me/qurssan

جعتي المثلجة. تضاءل ظله أمام النوافذ المحاطة بضوء الحديقة الأزرق. بدا مثيرا للدهشة أن تأتي حركاته رشيقة وخفيفة بالرغم من جسده الضخم القوي. أسرني في أسلوب رقصه حريته أكثر من رشاقته. يبدو أنه جسد يرقص في حالة توحد، بتلك الحرية التي نفقدها مع الطفولة، ولا نستعيدها إلا في لحظات محدودة، عندما لا يرانا أحد. يتحرك فيلكس بحرية طفل، بدون أن يشعره وجودي بأي تهديد.

قطع رقصه فجأة وسألني إذا كنت أعرف رقصة الطبول.

- ماذا؟

- رقصة الطبول.

أضحك. أعتقد أنه يقول دعابة.

- هل أديتها من قبل؟

أجيبه بالنفي.

يصب المزيد من الجعة ويملأ كوبي من جديد.

- إنها رقصة تحتوي على قوة تنفيث كبيرة في الأرض. تحفز الشقرة الأولى (*chakra*)، مركز الطاقة المعني بالحيوية، السعادة والقوة. أمارسها كل صباح لإيقاظ الكونداليني (*kundalini*) إنها رائعة. هل تتحمسين؟

لا أجيب.

أخرج أسطوانة سانتانا وشغل موسيقى أفريقية بها الكثير من الإيقاع وصرخات حادة لطيور. قال:

- تابعيني.

شرع في ضرب الأرض بقدميه بقوة. بدا لي كل هذا دربا من العبث

t.me/qurssan

وساذجا، لو لم يكن رجلا وسيما. أقول لنفسي: الجمال شيء رهيب. ثم أقف وأحاول محاكاته. من حين لآخر يقول:

- بكل القدم، لوثيا! بكل باطن القدم! أرخي الحنجرة. حركي الردفين! أرخي الوجه! مزيدًا من الطاقة! المزيد!

أطلق فيلكس بعض الصرخات المحمومة، المتوحشة مثل صرخات الحرب، بينما كنا نواصل رقص الطبول. أحاول مجاراته في كل شيء. وهكذا واصلنا الرقص لفترة طويلة مثل متوحشين. عندما توقفت الموسيقى، تركنا أنفسنا للسقوط على الأرض من الإنهاك، وغارقين في الضحك. كان قلبي ينبض بأقصى سرعة. وبدا لي قرب جسده مربكا. بالإضافة إلى تأثير الكحول وأنفاسه اللاهثة وجماله الوحشي الذي لا يمكن إنكاره. اقترح بصوت أكثر حميمية:

- ما رأيك لو مارسنا بعض التأمل؟

أطفأ الأنوار، أشعل شمعتين يفوح منهما عطر اللافندر وجلسنا في أحد الأركان بساقين متقاطعتين فوق سجادة صغيرة منقوش عليها رسومات من التبت.

- من المهم أن يكون العمود الفقري مشدودًا تماما (قال).

جلسنا متقاربين وجها لوجه.

- العقل في التنفس (قال). فلنواصل التنفس بينما نترك الأفكار تمر مر السحاب. أراقبها، لا أصارعها أو أتمسك بها. إنها هناك بكل بساطة... كسحاب يمر... أتنفس. شهيق وزفير... يقول حكماء التنترة إنه يجب أن نتنفس على إيقاع موحد. نأخذ الشهيق ونخرج الزفير معا لكي تتناغم طاقاتنا الأنثوية-الذكورية.

t.me/qurssan

واصلنا التنفس بنفس الإيقاع الموحد، حتى شعرت فجأة برغبة في النهوض والرحيل إلى المنزل. أسأل نفسي ما الذي أفعله هنا. أستمع لصوت العمة لطيفة وكل عمات الكون يهمسن لي في أذني أنني أضيع الوقت. «هذا الرجل سيرحل خلال فترة وجيزة»، تقول أصوات النساء العاقلات. «إنه في أسعد حال باكتشاف نفسه، مستمتعا بعزلته، ولن يتغير من أجل أي أحد أو أي شيء». «لا تضيعي الوقت». أفكر من جانب آخر أن فيلكس ليس النوع المفضل لدي من الرجال. لن يكون بوسعي الوقوع في غرام شخص يمارس رقصة الطبول في الصباح ويقترح عليّ أن نتنفس بنفس الإيقاع. سأل، وكأنه يمتلك بالفعل القدرة على قراءة ما يبوح به جسدي:

- هل أنتِ بخير، لوثيا؟

- إلى حد ما. في الحقيقة التركيز يصيبني بالإرهاق. ربما التأمل لا يلائمني، أو ربما أنا...

- ربما كان هذا كثيرا بالنسبة لليوم (قال وهو يحتضنني)

أجد حنانا في حضنه ويديه الدافئتين. أستند برأسي على صدره وأبقى هكذا، ساكنة، بينما يدور العالم من حولي.

- أشعر بدوار.

- أترغبين في أن أحضر لكِ شيئا...؟ قرص أسبرين؟

- لا، شكرا.

- ماء باردًا؟

- لا.

- ربما، بعض التدليل؟

t.me/qurssan

ألوذ بالصمت.

يشرع حينئذ في مداعبة جبيني، وجنتيّ، جفوني، عنقي. يبحث عن فمي. تزحف يده أسفل قميصي. يروقني الشعور بملمس يديه على جلدي. أنسى صوت عمتي ونظريتها عن الوقت الضائع، وأترك نفسي لمتعة مداعباته ولمغامرة استكشاف جسد مجهول.

مارسنا الحب على الأرض، في الصمت العفيف. بعد ذلك قال لي:

- أعجبت بكِ منذ رأيتكِ. وعرفت أيضا أنك ستنامين معي.

سألني بعدها، إذا كنت أرغب في البقاء للنوم معه. فأجبت بالموافقة. قلت:

- أنا منهكة للغاية على ارتداء ثيابي.

ولم يكن هذا حقيقيا. كنت أريد فحسب النوم بين أحضان رجل من جديد.

بقيت للنوم في منزله، منزل ليس به أي شيء مألوف بالنسة لي. أو بعبارة أخرى، حاولت النوم، لأنني أمضيت القسط الأكبر من الليل مفتوحة العينين. يعد النوم مع رجل، فعلا شديد الحميمية مثل ممارسة الحب، وربما أكثر. وكانت هذه هي المرة الأولى منذ سنوات التي أنام فيها مع رجل غير بدرو.

معتادة على روائح بدرو، درجة حرارته، شكل ظهره، عنقه، بدا لي الرجل الراقد إلى جواري نائيا ومربكا مثل بلدٍ بعيد.

t.me/qurssan

كلمتان

أصبحت أرى فيلكس منذ تلك الليلة، بشكل يومي تقريبا، حتى رحليه إلى تولوز. وعلى الرغم من علمنا بأن علاقتنا لن تدوم طويلا، قضينا أوقاتا مُرضية تماما، ربما لتيقننا من زوالها. كان الأمر وكأن رحيله اكتسب، بصورة ما، قدرة إضفاء لمسة شاعرية على أدق تصرفاتنا.

تمشينا معا متعانقين عبر محمية كوستانيرا سور، تلقينا دروسا في التانغو في سان تيلمو، استأجرنا شرائط فيديو وقرأنا بصوت مرتفع نصوصا لكريشنامورتي وقصائد لميشو. اصطحبني في عطلة نهاية الأسبوع في نزهة عبر منتجع جزر دجلة (*Tigre*) في الريبانسو، المنتجع الذي انتحر به دي ريينزو، أحد شعراء جيل الثلاثينيات. قال:

- سوف أصطحبك إلى مكان في غاية الخصوصية. أعتقد أنه سوف يعجبك كثيرا مثلي.

كان الريبانسو قصرا يرجع للقرن التاسع عشر، معتنى به للغاية، به غرف رطبة وفسيحة، ستائر بيضاء ذات براقع، وعرائش تكسوها زهور الوستارية السحرية التي تغير ألوانها مع درجات الضوء. فيصبح لونها أزرقَ سماويًّا قويًّا أثناء النهار وتتحول إلى اللبني ليلا والوردي وقت الغروب. تحت هذه العرائش أفطرنا قهوة ساخنة، كرواسان مخبوزًا توًّا وحلوى التوت من إعداد مُلّاك المكان الأختين آرياجي.

t.me/qurssan

كانتا مسنتين في غاية الطرافة، جميلتين متغضنتين كزهرتين ذابلتين، تتحدثان بصوت خفيض، وتسيران وكأنهما لا تمسان الأرض، وكأنهما تحلقان. تتحدثان بلا انقطاع عن الكاتب المنتحر وتشيران إليه بكثير من الحماسة والانفعال، ما يثير شعورًا بأن ذلك الرجل ما زال هناك، بيننا، ومن حيث لا نتوقع، من الممكن أن يظهر ماشيا على ضفة النهر بعصاه وقبعته السومبريرو البنمية.

في اليوم الثاني من إقامتنا، اقتربت منا واحدة من الشقيقتين وهمست بصوت ينم عن تواطؤ:

- هل تحبون رؤية حجرته؟

- من هو؟

- نعم، حجرة دي ريينزو.

- بالطبع، قال (قال فيلكس) لدينا فضول قوي.

كانت الحجرة على حالها لم تمس منذ مصرع الشاعر: الفراش مرتب، الكتب على المكتب من خشب البلوط، روبه، خفه بجوار الفراش، القلم الحبر والمحبرة.

علمني فيلكس، خلال عطلة نهاية الأسبوع تلك وسط جزر منتجع دجلة، الإنصات إلى ما يسميه «همهمة النجوم». كما نمنا قيلولات حالمة تحت ناموسية من التول الأزرق، تأملنا غروب الشمس ومارسنا الحب.

أيقظني يوم رحيله على مفاجأة.

- قهوة بالحليب وعصير برتقال من أجل حلوتي الصغيرة.

سألني أثناء تناول الإفطار ماذا سأفعل في وقت الظهيرة بعد رحليه.

t.me/qurssan

- حسنا... سأعود إلى روتيني: سوف أتسوق قليلا، أسقي النباتات، أطعم القطة. سوف أرتب المنزل قليلا... بعد ذلك سوف أمر لاصطحاب مورينا من عند بيلار، سوف نتناول العشاء معا وربما نشاهد التليفزيون لبرهة. لا شيء استثنائي، المعتاد.

- هل ستفتقدينني؟

ابتسمت.

- نعم، أعتقد ذلك، وأنتَ؟

- كثيرا (قال).

لاذ بالصمت، مطأطئ الرأس.

سألته إذا كان هناك خطب ما.

- أستثقل التخلي عن البيت، كتبي، أصدقائي، بوينوس أيرس... يصعب عليّ أن أتركك. أعشق السفر، ولكن حينما تحين ساعة الرحيل، لا أرغب في شيء آخر سوى البقاء.

- يحدث عادة.

ألتقط علبة سجائر من الطاولة المجاورة للفراش.

- هل ستدخن؟ (سألت باستغراب).

نعم اليوم.

دخن سيجارة في صمت، ببطء، مشكلا حلقات من الدخان. قال دون أن ينظر إليّ:

- لوثيا...

t.me/qurssan

- نعم؟

- أعتقد...

- ماذا؟

هز رأسه يمينا ويسارا، ابتسم ثم لاذ بالصمت.

- ماذا هناك، فيلكس -ألححت.

تحسس وجهي بيده التي تحمل الوشم.

- أحبكِ.

أفقدتني كلماته الكلام. كنا قد عقدنا اتفاقا صامتا وإذا به يحطمه بكلمتيه. الأقوى تأثيرا. تابع:

- أدرك أنه لا يعني كثيرا أن أطرح ذلك الآن. كنت أفضل عدم إفساد الأمور بكلمات، ولكن هذا هو ما أشعر به وأحتاج لأن تعرفيه.

تسربت شمس الصباح الكهرمانية عبر النافذة وسقطت أشعتها على ظهره العاري. سأل:

- وأنتِ، بماذا تشعرين نحوي؟

ابتسمت ببلاهة. لم أدر ماذا أقول. كنت مندهشة، أشعر بإطراء، وميتة من الخوف.

- لا أدري... لقد فاجأتني. أحب التواجد معك... شعرت بتقدير، برعاية، وحظيت بالإنصات. لم أشعر بذلك منذ وقت طويل. ينتابني شعور بأنني إلى جوارك أصبحت مرة أخرى، مرئية ومحسوسة. استرجعت جسدي، تعرفي عليك رفع من تقديري لذاتي. ذاتي المسكينة كانت مسحوقة... راودني شعور جيد معك، أشعر بالرضا...

t.me/qurssan

قاطعني:

- ولكن...

- لكن لا شيء (قلت). لا أدري إذا كان هذا كافيا.

شرحت له، أننا معشر النساء ما زالت تُسكر رؤوسنا فكرة الحب الرومانسي؛ وأن السينما والأدب أسهما بدورهما في حشو رؤوسنا الخفيفة ومن ثم فإن الغرام بالنسبة لنا شيء مماثل لمملكة السماء.

- أعلم أنه عبث (قلت) ولكن أريد التيقن... ربما تبدو لك سذاجة...

تطلع إليّ فيلكس للحظات، عابسا. ثم قال:

- ولم تشعري بهذا معي.

تأخرت في الإجابة.

- لا.

- أتفهم.

لذت بالصمت. فكرت، أنه إذا كانت الأسباب التي تدفعنا للوقوع في حب بعضنا البعض تكون عادة عبثية وغريبة، فإن أسباب فتور الحب تكون أكثر عبثية وغرابة. الرجل الذي بجواري قدم لي كل ما كنت أطالب به بدرو. ومع ذلك، كان قلبي باردا مثل جبل جليد. قلت:

- ربما، ربما... لم أقطع علاقتي حتى الآن مع الماضي.

- بدرو؟

t.me/qurssan

الحلم بالموت

حلمت بالأمس أن أبي توفي وأنني أجر جثمانه.

كان الجثمان ملفوفا في ملاءات بيضاء مشدودة بالحبال وثقيلا للغاية. أخذت أجر بقوة عبر حقل خاوٍ، تحت مطر جليدي رقيق ولا ينقطع. كان كابوسا عنيفا وكئيبا، بالأبيض والأسود. واحدا من تلك الأحلام التي تجعلنا نستيقظ مفزوعين. لطالما أصابتني بالخوف فكرة موت أبي. تطلق معالجتي النفسية عليها واحدة من مشاهدي «المخيفة». أتذكر في طفولتي، حينما كنت أدخل حجرة أبي أثناء نومه، متسللة أحيانا -أخشى إيقاظ بولا تحديدا- وأراقب درجة حرارته وتنفسه حتى أتأكد من أنه ما زال على قيد الحياة.

حكيت حلمي في آخر جلسة علاج نفسي. سألت مارتا بنفس النبرة المحايدة المعتادة:

- كيف كان الجثمان؟

- لم أره. كان ملفوفا.

- لكن ماذا شعرت تجاهه؟ كيف يمكن أن تصفيه؟

- ثقيل، ثقيل للغاية.

- أنت تعتقدين أنه كان أباكِ.

- نعم، كان أبي.

t.me/qurssan

- لكن ربما لم يكن هو.

حملقت فيها.

- ربما تحملين داخل حياتك أحد الموتى (تابعت قائلة). شيء أو شخص، يثقل جثمانه كاهلك.

- بدرو؟

- يمكن أن يكون بدرو (قالت)، أو زواجك.

- أشعر أن الأمر مرتبط بأبي.

- يمكن أن يكون شيئًا خاصًا بوالدك تحملينه أنت على عاتقك، شيئًا بداخلك وتريدين أن تتركيه وراءك.

اكتسب تفسيرها مغزى لكن عذابي يفضل تصديق ما تقوله أنجيلا. تؤكد الحلم بموت شخص يكون سببا في إطالة عمره.

t.me/qurssan

الغجرية

ذهبت للتسوق بعد الخروج من جلسة العلاج النفسي. كنت بحاجة للفرجة على الفتارين، الشراء والاستهلاك. زهرة آكلة اللحوم نهمة. نهم للحلوى، للكتب، للثياب، للأشياء. فوجئت بأن المكان تزين بالفعل لأعياد الميلاد. انتشرت من حولي نخلات عالية معلق على جذوعها أنوار وأكاليل زهور حمراء وذهبية، آيائل، أشجار الصنوبر الملكية، من القماش ومن البلاستيك. أقزام آلية بوجوه مرعبة، فتارين زجاجية عليها شرائط زينة وفيونكات شنيعة بلون ذهبي. نجوم. أضواء براقة. موسيقى إلكترونية.

لا شيء ينتقص من فرحتي مثل السيرك، قطارات المدعوين الصغيرة في حفلات الزفاف، موسيقى قاعة الألعاب الرياضية، والاحتفالات بنهاية العام، والبرازيليين الذين يرقصون السامبا، والشخاشيخ، والصفارات، وفرق المسرح المتجول.

اقتربت من المنصة التي يوجد عليها الأقزام الميكانيكيون.

كان الأكثر وضاعة من بينهم، يحفر الثلج القطني بمجرّفة ذهبية، وآخر يرفع ويخفض الهدايا بطريقة بطيئة، بطيئة للغاية، في نوع من الأبدية التي لا طائل من ورائها.

تراكمت فوق الجليد القطني رسائل من أطفال. «عزيزي بابا نويل: اسمي ماريانو، أريد دراجة جديدة ببدال. أتعهد بالمذاكرة أكثر والتحلي

t.me/qurssan

بسلوك جيد». «عزيزي بابا نويل: أتمنى لو تحضر لي باربي سوداء ومعها أثواب كثيرة. تويا، كتالينا».

جلستُ على حافة المنصة.

تذكرت أعياد الميلاد في بيتنا في بلغرانو. حديقتنا المضاءة بالمشاعل، تفوح منها رائحة الياسمين والورود وزهور العسل. تذكرت شجرة الصنوبر الزرقاء الضخمة تلك التي كانت بولا تزينها بالنجوم والأقمار والأنوار التي تضيء وتطفئ، المِزود الرخامي الذي أهداه لنا كاريغال، الديك الرومي المحشو بالتفاح واللوز، الذي كانت تقدمه دِليا بيدين تكسوهما القفازات، اللمعان البارد لطقم الفضيات، الكؤوس الكريستالة، أضواء الألعاب النارية التي يشعلها أبي بعد منتصف الليل في الحديقة.

كانت أمي تنتهز الأعياد لكي تحتسي الشراب بغير حساب.

أتذكرها في أثواب بفتحة صدر واسعة، بينما تحيط اللآلئ بجيدها البديع، ودائما بكأس في يدها. عندما تثمل، تنتابها نوبة ضحك مدوٍّ، تشرع في ترديد أغاني الميلاد، تسرد قصصا عن طفولتها في مندوثا، قصصا سبق أن حكتها ألف مرة -معظمها من نسج خيالها-، وتضطلع فيها دائما بدور البطلة. أتذكر أبي محتفيا بتلك القصص المزيفة، يستمع إليها بتوله، من ذلك الموضع المبهم والثانوي الذي اختاره لحياته.

أثناء تفكيري في أبي -وكم لدي من نقاط ضعفه- سألتني غجرية صبغت شعرها بلون أشقر ليموني وترتدي تنورة ملونة وحذاء كرة سلة، إذا كنت أرغب في أن تقرأ لي الحظ.

- يمكن أن أقرأ المستقبل في راحة يدك، الرائعة. يمكنني أن أحدثك عن الحب الآتي، المال، الحظ الجيد الذي أراه في تلك العيون الخضراء. كل هذا مقابل 100 بيزو.

t.me/qurssan

طلبت كفي الأيمن.

- أمامك سفر... سفر بعيد... أراكِ تمشين في الظلام، بين الأحجار... نحو البحر. ما اسمك، يا جميلة؟

- لوثيا.

- أرى عقبات وصخور، لوثيا، ولكن في النهاية هناك ضوء. أرى ماء. نعم. رحلة إلى البحر. (حكت ذقنها). لديكِ طفل أو طفلة، أليس كذلك؟

- ابنة، نعم (قلت في خيانة لرغبتي بالامتناع عن الكلام).

- الطفلة جميلة وفي غاية الذكاء.

أومأت بالإيجاب.

جلست إلى جواري، رفعت تنورتها وربعت ساقيها. كانت ساقاها مشعرتين ولديها وشم قلب وأحرف أولى على إحدى ربلتي ساقيها. قالت:

- ستشق هذه الطفلة طريقها بذكائها.

تذكرت رواية لفيتزجيرالد توسلت فيها البطلة إلى الله أن تكون ابنتها جميلة وبلهاء. امرأة حسناء وبلهاء مثل جواز سفر للسعادة. قالت الغجرية بنبرة تحذيرية:

- ممم... أرى هنا شيئًا مظلمًا، ألمًا بسبب الحب.

لذت بالصمت ورسمت تعبيرا لوجه محايد قدر استطاعتي. كررت قولها بتصميم أكبر:

- هناك غياب. غياب يسبب ألما (قربت وجهها من كفي وفصلت إبهامي عن باقي الأصابع). أرى امرأة أخرى، امرأة شقراء... شابة، شريرة...! تريد

t.me/qurssan

الحصول على المال... (تطلعت إلي للحظات). الفراش... تستحوذ عليه من خلال الفراش... لكنه يريد أن يتركها. يريد ولكن لا يستطيع.

لا أستطيع تحاشي الابتسام.

- إذا شئت، يمكننا تدبير عمل صغير، يا حلوة (تابعت). فك العمل لكي يتخلص الرجل من الشقراء.

سألتها عن معنى ذلك.

- يجب أن نلتقي مرة في الأسبوع. سوف ننتهي من الأمر بعد ثمانية لقاءات. يجب أن تحضري صورة للرجل، قطعة ملابس داخلية مستعملة ورجل دجاجة. خمسمائة بيزو فقط في المرة. من المهم أن أنجزه، يا غالية.

كنت على وشك أن أجيبها بشيء، لولا أن فاجأني صوت طفل ينشد أغاني عيد الميلاد. كان متنكرا في هيئة ملاك، يضع شعرا مستعارا من النايلون الأبيض ببكر، عباءة بيضاء وجناحين من البلاستيك الوردي.

كرر الطفل بصورة آلية:

- ليلة سلام، ليلة حب.

- من المهم أن أحضّر لكِ هذه الأعمال، يا عروسة. (ألحّت الغجرية، مقربة وجهها من راحة يدي) لا أريد أن أفزعكِ، لكن أرى أيضا ظلاما. لقد حضروا لكِ عملا سفليا.

سحبتُ يدي بعنف وقلت لها إنني لا أصدق أي شيء مما قالت. أثناء انصرافي سمعتها تسبني بصوتها الأجش.

t.me/qurssan

وحدنا

مرت أيام الطفولة بطيئة.

مثلما لا يتحدث أحد عن الحب في الطبيعة.

- خيرمان أرينز

اعتقدنا عندما اشترينا سيارتنا الأولى، ستروين صفراء، تبدو كلعب الأطفال، أنها الأكثر تميزا. بالرغم من ذلك، بعد بضعة أيام قليلة، لاحظنا وبالمفاجأتنا أن بوينوس أيرس امتلأت بالسيارات الصفراء، مثل الفطر الذي ينتشر فجأة في الأرض بعد المطر.

بعد الانفصال حدث لي أمر مماثل. بدأت أرى، منذ انفصالي عن بدرو كما هائلا من الرجال والنساء المنفصلين. مثل الأطفال التائهين على الشاطئ، لدينا نحن المنفصلين نظرة تشي بنوع من القلق، تجعل العين لا تخطئنا. منفصلون في طوابير السينما يتناولون الطعام مع أبنائهم في ماكدونالدز، في اجتماعات مجلس الآباء بالمدرسة، في المطاعم، في الشوارع، على شبكات التواصل الاجتماعي، في دردشات التجمعات، في مترو الأنفاق، في البارات.

عالم من الرجال والنساء، غالبيتهم في منتصف العمر، مثبتون في العزلة، كما لو كان منظرا طبيعيا فريدا. مكان بدأنا نتخندق فيه بإرادتنا، سواء بدافع الألم أو الخوف.

t.me/qurssan

يعتقد السيد فورمان، الذي أتبادل معه كثيرا أطراف الحديث والذي يحب التطرق «لموضوعات الحياة الكبرى»، أننا نعيش في عالم الوهم. يقول:

- مؤسف ما يحدث لنا جميعا، لوثيا. لم نفقد المُثُل فحسب، بل الأحلام أيضا.

حكى مساء أمس، بمعرض الحديث عن العزلة في المدن الكبيرة، عن شيء حدث منذ فترة لأحد أصدقائه.

- انظري، عزيزتي لوثيا. هذا ما حكاه لي أحد الأصدقاء. (قال السيد فورمان بينما يستند بمرفقيه إلى طاولة المشرب). والقصة على النحو التالي: كان قد انفصل قبل فترة وجيزة وكان مريضا. شعر ذات مساء يوم سبت، بوحدة كبيرة، ومن شدة شعوره بالوحدة شرع في إجراء اتصالات هاتفية بجميع صديقاته بدون استثناء، لكي يدعوهن على تمشية، الذهاب للسينما أو بكل بساطة لتناول فنجان قهوة. احتاج صديقي أن يكون في صحبة. احتاج لذلك بصورة يائسة، هل تفهمينني؟ هل راودك هذا الشعور من قبل؟ (وبدون انتظار إجابة السؤال تابع):

- احتاج صديقي للشعور بوجود امرأة، الاستماع لصوت، أي شيء.

جعلتني حدة القصة التفكير في أن فورمان ذاته، كان مرة أخرى، على غرار العديد من المرات، هو نفسه الصديق الذي يتحدث عنه. تابع:

- اتصل صديقي بكل معارفه، صديقاته، حبيباته السابقات. ولا شي. لم يكن بعضهن في المنزل، أخريات تعللن بارتباطات سابقة، والبعض مصابات بالتهاب اللوزتين أو مرهقات. شعر صديقي فجأة بحاجة ملحة للغاية، لدرجة أنه بحث عن الأجندة واتصل بطبيبة أسنانه، أرملة عجفاء وشديدة القبح، لم يتبادل معها سوى أحاديث حول زراعة، كباري، وتيجان

t.me/qurssan

الأسنان. ظن أنها قد تقبل الدعوة. كان متأكدًا من أنها لسبب ما سوف تشعر تلك المرأة بالسعادة لأنها تؤخذ في الاعتبار، لأنها تتبادل الحوار مع رجل في محل حلوى. فدعاها لتناول قهوة.

- برافو لصديقك -قلت.

انفجر السيد فورمان في الضحك وتطلع إليّ.

- أتعرفين بماذا أجابته طبيبة الأسنان، لوثيا؟

- أنها قبلت الدعوة؟

- لا. قالت له إن تلك ليست ساعة للاتصال، وإنه تجاوز حدوده وقطعت الاتصال. ما رأيك؟

كنت على وشك إجابته عندما قاطعني صوت مألوف، يناديني باسمي. كان دودي. وقد أحضر باقة من الزهور. وقال بعد أن قبلني في وجنتيّ:

- لكِ.

- شكرا، دودي. كم أنا سعيدة لأن أراك بخير (قلت).

ابتسم دودي بسعادة.

- نعم، أنا في خير حال.

حياه السيد فورمان بابتسامة مهذبة، وبعد أن تفحصه من أعلى إلى إسفل، استأذن قائلا إنه ذاهب إلى مكتبه لأن عليه الانتهاء من شأن عاجل.

أعرب دودي عن سعادته بالمكان والكتب. سألني إذا كان لديّ كتاب به صور لبوينوس أيرس. أطلعته على مجموعة. أبدى اهتماما بأحدها، يضم كلمات أغاني تانغو ومشاهد ليلية لبوينوس أيرس. قال:

t.me/qurssan

- يعجبني هذا. (اشتراه).

- للإهداء؟

- نعم. أريد إهداؤه إلى كارلوتا (قال).

- كارلوتا؟

أخبرني أنهما عادا لبعضهما مرة أخرى.

سألته كيف انتهت قصة مدرس رقص السالسا. قال بعدم اكتراث:

- لا، ذاك كان أمرا عابرا. نوع من الانبهار.

أضاف، بشرود:

- إنها تعيش معي الآن.

- في بيتك؟

- حسنا، في الحقيقة لم يكن ضمن مخططاتي (أجاب)، ولكنها تعاني من صعوبات مالية وليس بوسعها سداد إيجار. فقلت لها أن تأتي لفترة؛ لدي مساحة زائدة عن الحد... المسكينة بلا عمل منذ فترة... أرأيتِ: البطالة في بلادنا مشكلة خطيرة.

- ووالداها؟ (سألت).

- لا تحصل على أي دعم من أسرتها (أوضح لي). إنها مجموعة أقارب شديدة التنافر: أب غائب، شقيقة تعاني من الأنوركسيا، شقيق مدمن... أم من أثقل ما يكون. أما هي (أضاف بنبرة أمومية)، فالأكثر رهافة شعور. تتحمل أعباء كل شيء.

- بالتأكيد.

t.me/qurssan

- يؤلمني هذا لأنها شابة واعدة. لا أدري إن كنت أخبرتك بأنها تجيد الرقص.

- لا، لا. لم أكن أعلم.

- آه، نعم... رائعة. اتفقت لها مع مدرس تانغو يحضر إلى المنزل كل يوم لكي تحرز تقدما أسرع. وفي الحقيقة أنها تحرز تقدما ملحوظا. وهي في منتهى السعادة. حلمها الرقص في اليابان (لدرجة أن تقول لكِ لماذا لا نذهب في رحلة قصيرة آخر العام)، وأنا أعتقد أن لديها الموهبة لتحقيق ذلك.

ظل دودي يتحدث لفترة طويلة عن معجزات «عبقريته الصغيرة»، حتى انتبه مذعورا إلى أن الوقت تأخر.

- يالي من أحمق. كارلوتا تنتظرني في المنزل لكي أصطحبها للطبيب النفسي. لقد نسيت تماما... المسكينة، ترتعب من الأشعة. إنها طفلة جدا في بعض الأمور. خلال الأسبوع سآتي لقضاء وقت أطول، (لو)، وسوف أبقى لتناول شيء. يبدو لي المكان ساحرًا.

أثناء الوداع طلبت منه أن يعتني بنفسه كثيرا وألا يتردد في الاتصال بي من أجل أي شيء.

t.me/qurssan

في حديقة الحيوان

أنا في التاسعة من عمري. أذهب مع بابا سيرا على الأقدام إلى حديقة الحيوان. إنها نزهتنا المفضلة. أدركنا منذ الصغر أن السعادة تتطلب التكرار وهذا ما طلبته من أبي: العودة إلى فردوسنا، إلى ذلك المكان حيث كنا نضحك معا.

اعتدنا الذهاب بمفردنا. بدورهما، بابا وميراندا، كانت لهما فراديس أخرى لم أكن أشاركهما فيها. التنزه معه في حديقة الحيوان كان يخصني وحدي.

كنا نسير متشابكي الأيدي -كنت أراه عملاقا بيدين ضخمتين ودافئتين- وبخطى متأنية، نتوقف أمام الأقفاص أو البِرَك. كان بابا يحب حديقة الحيوان. ويستعيد بابا الغارق في الصمت دائما بالمنزل وقليل الكلام، بهجته وبراءته أمام الحيوانات. اعتاد التوقف أمام الأسود أو الزراف ومراقبتها لفترة طويلة. كان يقول إن الحيوانات تشعره بالسعادة.

- إنها كائنات في منتهى الظرف (أكد).

كان يعشق تسميتها وإطلاق ألقاب عليها والتحدث معها بطريقة مضحكة، وكأنها تستطيع فهمه بالفعل.

كان يضحكني كثيرا.

t.me/qurssan

كان يطلب مني أحيانا مساعدته في اختيار تلك الحيوانات الأكثر شبها بنا.

- أنت أي واحد، با؟

- النمس.

- النمس؟

- نعم، نبدو توأمين. وتلك الفهدة هي أمك (قال متفاخرا). في منتهى الجمال مثل بولا. نفس العيون الخضراء، نفس الشموخ، نفس الذكاء.

- أيها ميراندا؟

- فلنر... تلك البلشونة ذات القوائم النحيفة. تلك هي ميراندا.

- نعم، تشبهها. وأيها أنا؟

- أنتِ تلك السنجابة.

- أية واحدة؟

- تلك الموجودة هناك. ذات الفرو المائل للاحمرار.

- تلك؟ لماذا؟

- لأنها حلوة ومرحة.

- آه.

كان يروقني عندما يردد بابا كلمة «حلوة». يستخدمها كثيرا في مخاطبتي. يقاطعني أحيانا، وسط أي حوار، بصورة مفاجئة، ينظر في عيني مباشرة ويقول:

- ممكن نعرف لِمَ أنتِ بكل هذه الحلاوة؟

t.me/qurssan

تتضمن نزهتنا بعد الخروج من الحديقة تناول حليب بالفانيليا في بار دون أوبرتو. نجلس إلى الطاولة على مقاعد مرتفعة بمساند ظهر جلدية. يعرف دون أوبرتو أننا نحب الأكواب الكبيرة والحليب مع الكريمة. وما إن يرانا ندخل، يصيح قائلا على سبيل الترحيب:

- وعندك اثنين حليب بالكريمة والفانيليا في كوبين كبيرين!

حاولت محاكاة طريقة بابا في مزج الفانيليا بالحليب حتى يتشرب بها.

يكمن السر في أن تعرفي كيف تخرجينها في الوقت المناسب، يا حلوة (قال) حتى لا تذوب.

مر بابا عليّ مرة بعد الظهيرة في المدرسة ليراني. هتفت عندما رأيته خلف حديد سور المدرسة:

- بابا! ماذا تفعل هنا؟

أخبرني بأنه يفتقدني كثيرا وانتابته رغبة في أن يصطحبني إلى حديقة الحيوان. بصفة عامة، كنت أنا من يلح في الذهاب، وينتهي به الحال ملبيا لرغبتي. كانت فترة ظهيرة شتوية، باردة، والسماء ملبدة بغيوم كثيفة، بدت معدنية. كان هناك القليل من الأشخاص في الحديقة وأضيئت أنوار المصابيح بالفعل.

ارتدى أبي معطف مطر وكوفية كاروهات. سار ببطء وكان أكثر صمتا من المعتاد. لفت انتباهي أنه لم يشرع في التحدث إلى الحيوانات أو يطعم الجِمال. عندما توقفنا عند قفص القرود، رأيت نظرته مثبتة في الأرض وكأنه شارد يفكر في شيء ما. أو شخص. متنائيا تماما عني. طلب مني فجأة أن نجلس لبرهة. وقال:

- أنا متعب بعض الشيء.

t.me/qurssan

بعد ذلك احتضنني بقوة وغمغم:

- حلوتي.

كان حضنه من القوة لدرجة أنني شعرت بالاختناق قليلا. عندما ابتعدت عن صدره، قال لي شيئا ظل محفورا بداخلي.

قاله بصوت خفيض، وكأنه يحدث نفسه، تشوب صوته نبرة انكسار، رمادي مثل الضباب.

- المهم يا حلوة (قال وهو يداعب كفيّ)، ألا تستسلمي. لا استسلام على الإطلاق.

بدت لي كلمة استسلام مربكة. خُيل لي أنني سمعتها في التلفاز أو قرأتها في أحد كتب التاريخ، ولكني لم أكن متأكدة من معناها. ومع ذلك، بدت لي كلمة شديدة الجاذبية. هناك كلمات لم تكن تروقني على الإطلاق، مثل دلو، مهبل، أو قار. على العكس كانت كلمة استسلام في منتهى الأناقة... الشموخ! تدفعني للتفكير على نحو ما في ملوك، عروش، التاج. بعد وقت طويل اكتشفت أنني كنت أخلط بينها وبين كلمة التنازل عن العرش. فهمت آنذاك، أن بابا كان يقول لي شيئا مفاده أن المهم هو عدم التنازل عن المملكة.

تطلعت إليه. منطويا على نفسه في المقعد الخشبي، بدا جسده قد تضاءل داخل معطفه الرمادي الواقي من المطر. أحطت عنقه بذراعي. وقلت له إنني لا، لن أفعل ذلك. وعدته بأنني لن أتنازل مطلقا عن المملكة.

t.me/qurssan

ما أسرع حلول الليل

«ماذا يجب أن أفعل لكي لا أعود؟ يجب أن تضيع. لا أعرف كيف أفعل ذلك. سوف تتعلمين».

– مارغريت دوراس

قررت بعد طول تردد، الاتصال ببدرو. قال إنه سعيد للغاية لسماع صوتي وأكد لي أن لديه منذ وقت طويل، رغبة قوية في الاتصال بي لكي نلتقي. قال:

– يوجد بالقرب من أداغيو معرض لصور فوتوغرافي بلجيكي أود مشاهدته. أخبروني أنه يبدع أعمالا شيقة للغاية. نذهب سويا، إذا أردتِ.

كان غريبا لقاؤنا هناك لمشاهدة الصور. حاولت أن أتذكر أثناء الانتظار أيًّا منا أحب التصوير الفوتوغرافي أولا. مَن أصاب مَن بالعدوى؟

أزعم أنني التي أُصِبت بالعدوى. يبدو لي أن مسألة التصوير الفوتوغرافي لم تكن تشغلني بشكل خاص قبل أن نعيش معا.

أتذكر أننا كنا نستلطف ذلك الأسلوب في الحديث بصيغة الجمع التي تميز الأزواج عندما يتطرقون إلى أذواقهم: «نحب الذهاب إلى شواطئ هادئة»، «نمقت الروك السيمفوني» أو «نتناول طعاما خفيفا ليلا». وبالرغم من ذلك، ها نحن، بعد سنين، نتشارك، مثل وحش ذي رأسين نفس الذوق.

t.me/qurssan

كان المعرض شنيعا: صور فوتوغرافية لأدوات مطبخ -ملاعق، مقصوصات، وشوك- تحلق كأشباح على خلفية سوداء.

- من المهم أن يكون لديك مرمم لوحات جيد (قال رجل تبدو على وجهه سمات الحكمة مخاطبا امرأة إلى جواره تنصت إليه بتولّه).

فجأة، أصبح بدرو على مسافة بضعة سنتيمترات من وجهي. قال مبتسما:

- لو.

ارتدى معطف مطر أزرق وقميصا رياضيا أبيض. لاحظت عليه تغييرا منذ آخر مرة. أكثر نحافة ربما. غيّر النظارات. على أية حال، لم يفاجئني وجهه.

تنتمي وجوه أزواجنا إلى حاضر أبدي، ولأنهم كذلك فمن الصعب أن يفاجئونا. ذلك الرجل الواقف أمامي هو بدرو، بدرو الخاص بي، بدرو زوجي، يبتسم لي وكأنه خارج توا من تحت الدش. دش حمامنا.

- يالسعادتي برؤيتك. هل مر الكثير على وصولك؟

- بضع دقائق.

تجولنا في القاعة. قال:

- هذا مثير للشفقة.

التفتت فجأة امرأة ترتدي قبعة سومبريرو خضراء ونظرت إليه باحتقار. قال بدرو:

- يبدو أنها زوجة البلجيكي.

أشرت إليه لكي يخفض صوته.

- أرجوكِ، لوثيا أن نرحل من هنا بأسرع ما يمكن. لا أطيق هؤلاء الناس.

t.me/qurssan

المعتاد من بدرو. لم يتحمل مطلقا «هؤلاء» الناس. أو أي أحد.

اخترنا بارًا هادئًا وجلسنا إلى طاولة بجوار النافذة.

- ماذا تريدين أن تتناولي، لو؟

- قهوة بالكريمة.

طلب قهوة بالكريمة وشايًا بالحليب. سألتُ مندهشة:

- شاي بالحليب؟ كنت تكره الشاي... والحليب.

عجيب أمر تلك اليقينيات اليومية الصغيرة وكيف توهمنا بأننا نخطو على أرض صلبة. في حين أن العالم قد تغير. أجاب بهدوء بوذي أثناء جلو زجاج عدسات نظارته:

- نعم أتناول الشاي.

أنا متأكدة من أن بدرو يعلم فيم أفكر.

«لماذا تحبين الشاي...؟»

«من أقحمكِ في الشاي...؟»

«أكره تناولكِ الشاي».

- ياللروعة -قال صوتي.

- قصصتِ شعرك.

- منذ عدة أيام (قلت). هل يعجبك؟

- أنتِ في منتهى الجمال...

أعتقد أنه يحاول رفع روحي المعنوية بعدما لاحظ إحباطي بسبب مسألة الشاي.

t.me/qurssan

تروقني الطريقة التي يخبرني بها بأنني جميلة. على الرغم من أن التحسن هذه المرة ليس في كلماته. التحسن في منطقة أخرى؛ ربما في صمته. نعم في الطريقة التي يتحلى فيها بالصمت قبل الحديث. لدى بدرو القدرة، مثل الموسيقيين الجيدين، على أن يحمل الصمت بالمعاني.

تغني سيدة بالبرتغالية عبر مكبرات صوت البار.

يسألني بدرو إذا كنت قد شاهدت حفل كايتانو بيلوسو الغنائي على مسرح الأوبرا. أخبره بأنني شاهدت بعضًا منه في التلفاز. شرعنا حينئذٍ في كيل المديح لكايتانو. بلا حدود وبصورة مبالغ فيها: على غرار الأيام الخوالي. يقول:

- إنه الملك ميداس. يتحول كل شيء يمسه إلى ذهب.

أتفق معه. يقول إننا كنا ميالين دوما للمبالغة.

يطفئ السيجارة ضاغطا عدة مرات على العقب في المطفأة حتى يسحقه. بالرغم من الوقت الذي أمضيناه منفصلين، يبدو لي مألوفا التواجد مع بدرو. أعرف كل لفتة من لفتاته، تعبيراته، تعليقاته اللاذعة، وفترات صمته غير المتوقعة. تلك السعلة.

أسأله إذا كان قد شاهد فيلم وودي آلان الأخير.

- لا. ليس بعد... يجب دخوله (يقول متطلعا إليّ).

- نعم، يجب دخوله (أقول متحاشية النظر إليه).

حكى لي أنه استأجر مساء الأحد الماضي ثلاثة أفلام لوودي آلان وشاهدها دفعة واحدة. يقول:

- كانت سهرة. ما يزال «زيليج» فيلمي المفضل. أحب آني هول كثيرا،

t.me/qurssan

على الرغم من أن الفيلم يولد لدي شعورا... بنوع من الحنين. شاهدناه معا بعد وقت قصير من تعارفنا، عقب العودة إلى المنزل. أتذكرين؟

- نعم، بالطبع.

- في نادي السينما الكئيب ذاك...

- الذي تفوح منه رائحة طعام التشوب سويي الصيني.

لذنا بالصمت لعدة لحظات. ثم واصلنا الحديث عن السينما، الحواسيب، مسلسل جديد، الكتب. وسرعان ما فرغت منا الأفلام، المسلسلات والكتب، وتوقفنا فجأة عن الكلام.

أتطلع إلى يديه بينما يعبث بكيس سكر صغير. أتذكر تلك اليدين تكتبان ليلا: تعدان المحاضرات للكلية، ترسمان المخططات، تدقان على الآلة الكاتبة. أتذكرهما تداعبانني في ظلام حجرتنا، تحتضنان مورينا وهي بيبي، وهما تطويان قمصانه على نحو أخرق عندما رحل عن المنزل.

هناك شيء في أيدي الرجال يحرك مشاعري. أجد بهما شيئا كاشفا. شيء من العري، الحميمية، وكأنهما مصنوعتان من مادة شفافة تسمح برؤية المشاعر. كيف أنسى يديّ أبي الكبيرتين والخشنتين وطريقة تحولهما عندما تداعبانني.

تحوط يدا بدرو الآن فنجان الشاي. لا أجرؤ على السؤال عن أي شيء تقريبا. ظللنا لفترة نتطلع معا عبر النافذة. وأخيرا قال:

- لا أعرف عنكِ شيئا منذ فترة. نتحدث في كل اتصالاتنا دائما عن مورينا. عندما اتصلت بكِ من أجل عيد ميلادِك، لم تعيريني أي اهتمام.

ابتسمتُ، قائلة:

t.me/qurssan

- اتصلت مرة بمنزلك... لكن ردت امرأة ذات صوت أجش فقطعت الاتصال.

قال وهو يسوي وضع نظارته:

- آه.

هذا هو كل ما لديه أن يقول: آه.

- وأنتِ... هل أنتِ مع أحد (سأل).

- لا، الآن لا.

احتسى رشفة من الشاي ومس أحد ذراعيّ، وقال:

- سأطرح عليكِ عرضا غير برئ. أدعوكِ للتمشية قليلا. ظللت حبيسا طول اليوم.

- هيا بنا.

- شيء جيد أننا التقينا.

ساعدني عندما نهضنا من الطاولة على ارتداء الكنزة.

- لوثيا، أتصور أنه قد آن آوان التخلص من هذه الكنزة. إنه كئيب.

- مُحال. يروقني أكثر من ذي قبل. وهل تخلصت أنت من ذلك القميص الأزرق ذي الياقة البالية الذي كنت أرغب دائمًا في تخليصك منه؟

- هذا صحيح (قال).

وخرجنا من البار ضاحكين، نتبادل النكات. بدونا سعداء.

تسقط مزورة آخر آشعة لشمس باهتة، بين أغصان أشجار ميدان لافال. اكتست الأرض بأوراق شجر صفراء تخشخش تحت وطأة أقدامنا. يتكلم

t.me/qurssan

رجل مع نفسه على أحد المقاعد بينما يلقي بفتات الخبز للحمام. يقول بدرو:

- أتذكرين ذلك المساء، في فاليريا، عندما تمشينا لثلاث ساعات بدون توقف؟

- نعم، بالتأكيد.

- يالنا من مجنونين. كنا نعشق السير على غير هدى.

- وبعد ذلك لم نكن نعرف كيف نعود إلى الفندق.

- كان ذلك الصيف رائعا.

وقف صديق الحمام على أحد المقاعد وأخذ يصرخ مرددا النشيد الوطني، رافعا يديه إلى أعلى. وضع بطانية قديمة فوق كتفيه ونوعا من البونشو[1] المطاطي.

- رافقيني إلى الكشك. أحتاج سجائر، لوثيا.

- ما زلت تدخن كثيرا كالعادة. أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

اعتدنا على خوض مناقشات لا تنتهي بسبب موضوع السجائر وسعاله. وبسبب إهمالي أيضا.

الطريف، أنني أصبحتُ أكثر تنظيما منذ انفصالنا. نهايته، تلك الأشياء. قال:

- حدثيني عن عملك.

- إنه مكان دافئ، هادئ. به كتب جيدة والسيد فورمان شخص محبوب

---

1. عباءة سكان أمريكا اللاتينية

t.me/qurssan

للغاية. أنا سعيدة. يجب أن تمر ذات مساء. سوف يروقك.

- بالتأكيد. سوف آتي. وكيف حال أنخيلا؟ هل ما زلتما تتحدثان عن الأمراض؟

- دائما.

ضحكنا.

- والقط؟

- القطة...

- معذرة، القطة.

- بخير.

وصلنا إلى جادة كوردوبا. توقفنا أمام إحدى الفتارين للبحث عن ستائر. فمثلما تجذبني الكتب، بدرو مهووس بالستائر، قد يقضي ساعات يتطلع إليها. أشار إلى ستائر ذات لون رمادي، شبيهة بالتي كانت لدينا في المنزل. بعد ذلك تحسس شعري. فبقيت بلا حراك، وكأنني لم أنتبه. عندما استدرت، قبلني. قبلة رقيقة، بلا اندفاع. لا أذكر أنه كان يقبلني على هذا النحو من قبل، بهذه الطريقة. ومع ذلك، كان هناك شيء حزين في تلك القبلة. شيء له علاقة بالموت. سألني مداعبا وجهي:

- هل تشعرين بالبرد؟

- قليلا.

- سرنا متعانقين حتى السيارة.

عم الظلام على الرغم من أن الساعة لم تحن السابعة بعد.

t.me/qurssan

- ما أسرع حلول الليل (أقول).

لا يعلق بشيء وكأنه لم يسمع. أُدرك تماما متى يكف بدرو عن الإنصات إليّ.

تذكرت بعدما ركبت، تلك السيارة الستروين المتهالكة التي اشتريناها عقب زواجنا. هذه سيارة جديدة وغالية.

سرعان ما أصبحنا نحن الاثنين متجهمين وصامتين. لم ننبس بكلمة، أثناء الطريق.

سألني حينما وصلنا إذا كانت مورينا في المنزل.

- بقيت للنوم في منزل أورسولا.

- هل تريدينني أن أمكث (سأل متفحصا فيّ من فوق النظارة).

- لا، اليوم لا. ربما في يوم آخر (أقول له).

- حسنا، سوف نتواصل (يقول هو).

- نعم، سوف نتواصل.

قبل إغلاق الباب، أتطلع مرة أخرى إلى زوجي السابق. أراه من ظهره، يسير ببطء نحو سيارته يداه في جيوب معطفه الواقي من المطر. أفكر أنه تغير. أكثر نحافة، ربما. أو أكثر طولا. إذا كان هذا ممكنا.

t.me/qurssan

إهداء المؤلفة:

إلى ناشري العزيز، جونثالو جارثيس الذي أضاء هذه القصة بثقته وحماسه.

إلى أبيلاردو كاستييو، الذي ما زال يذكرني في كل مكان بأنه لا توجد كلمة بريئة.

إلى فريد، أحبائي القدامي، إلى أصدقائي للأبد.

t.me/qurssan

عن الانفصال

بداية أعترف أن رواية «الانفصال» هي أولى ترجماتي لعمل أدبي نسائي يصف مشاعر المرأة في مرحلة عمرية معينة وإزاء أزمة قاسية وحقيقية لها عواقب نفسية واجتماعية لا تتوقف على المرأة والرجل فحسب. حرصت طوال الوقت على أن يكون الصوت السائد في اختيار التعبيرات والمفردات والانفعالات «نسائيا» بدون تحيز أو تعاطف، وأن يكون صوت سرد نقيًّا تمامًا يفرد للمرأة ومشاعرها في النص دور البطولة ويؤكد عليها كما أراد النص في ثقافته ولغته الأصلية، وأتمنى أن أكون قد وفقت في ذلك.

تصور هذه الترجمة أيضا مدى تبلور وتطور العلاقة بين المترجم والكاتب، فلأول مرة بجانب القواميس والوسائط الرقمية المعتادة المستخدمة كأدوات ترجمة، أستعين بمؤلفة النص الأصلي، وهو ما أسهم بنسبة كبيرة في توضيح الكثير من الجمل المعقدة أو إثراء النص بمدلول الجمل المأثورة والأمثال والعبارات الشائعة، وتفاصيل عميقة في ثقافة النص الأصلي والوصول أحيانا إلى ماهية النص وكواليس ما ورائه، ليكتشف كلٌّ من المترجم والكاتبة الكثير من الجوانب المشتركة بين ثقافتين يفصلهما محيط شاسع ومترامي الأطراف جغرافيا، ومع ذلك تتشاركان الكثير من الجسور والروافد منها العربي، ومنها الفكري وبالطبع الإنساني والعاطفي.

t.me/qurssan

أتصور أن سيلفيا أرازي كتبت الرواية المنشورة عام 2018، وهي لا تعلم أو تتخيل أنها ستترجم إلى العربية، ولهذا أزعم أن العنصر العربي الذي ظهر في الرواية من خلال عائلة الأب ذي الأصل السوري، المنحدر من مهاجرين جاءوا إلى الأرجنتين واستقروا بها وصاروا تجارًا ورجال سياسة واقتصاد، يرجع بالفعل إلى أن المكون العربي جزء مهم من تاريخ الأرجنتين الحديث، لدرجة أن أحد رؤساء البلد اللاتيني كان من أصل سوري وهو كارلوس منعم (1989 – 1999)، وربما تكون هذه الترجمة إسهاما في مد مزيد من الجسور بين العالمين العربي واللاتيني اللذين يوجد بينهما الكثير من العوامل المشتركة تستحق هذا الجهد.

في عام 2016 نشرت جريدة «كلارين» الأرجنتينية العريقة، تقريرا عن مؤشر الزواج والطلاق في العاصمة بوينوس أيرس، يوضح أنه خلال عام 2015 تم تسجيل 5643 حالة طلاق، بمعدل 15 حالة في اليوم، ولكن المعطى اللافت للانتباه كان المرحلة العمرية التي يقع فيها الطلاق، فبحسب التقرير يعتبر الطلاق أكثر شيوعا في العقد الرابع من العمر: 47 عاما في حالة الرجال، و44 عاما في حالة النساء وهي نفس ظروف أبطال العمل. هذه الحالة يصفها أحد أبطال الرواية بالمرحلة الحرجة المربكة «يجد الإنسان نفسه عجوزا وسط الشباب وشابا وسط العجائز».

تبدأ الرواية بجملة تنبئ بحدث فاصل، حاسم ومدمر للعلاقة بين الرجل والمرأة على لسان بطلة العمل لوثيا على النحو التالي: « أتطلع إلى رجل نائم إلى جواري، سيُصبح اعتبارا من الغد وإلى الأبد، زوجي السابق، ومن المحتمل ألا يعود للنوم بجانبي مرة أخرى».

وهكذا من البداية يواجه القارئ بمرارة التحول الذي يطرأ على واحدة من أقوى العلاقات الإنسانية بين شخصين، ليكتشف منذ الفصل الأول أنها

t.me/qurssan

بالرغم من طبيعتها المستدامة، لها وجه آخر أكثر هشاشة وسريع الزوال.

تنفصل لوثيا وبدرو، بعد زواج دام خمسة عشر عاما، هذا يحدث، بين بطلي العمل، ويتابع القارئ أحداثه وينخرط فيها منذ اللحظة الأولى. ومع ذلك فنحن أمام بنية سرد غير تقليدية، فمن خلال عناوين ذات مغزى توضح تسلسل هذه الأحداث وتستعرض أسباب الانفصال وتوابعه على شخصيات العمل، نستقبل نصوصا تكاد تشبه «بوستات» مواقع التواصل الاجتماعي، مشاهد من فيلم سينمائي أو «حكايات متناهية الصغر»، يمكن أن تقرأ منفصلة وبأي ترتيب. يمثل كل فصل جزءا من أحجية، قصاصة من نسيج حياة لوثيا الكبير المتنوع، يشركنا فيه الرواي بصورة غير مباشرة، لنتعرف بصورة أكبر على شخصية «لو» بدون إشفاق أو تعاطف أو لوم.

تتضح من خلال تلك البنية السردية التي تبدو للوهلة الأولى شديدة البساطة، على الرغم من العناية الفائقة في اختيار مفرداتها، حيرة البطلة في هذه المرحلة من حياتها سواء كأنثى أو كزوجة، ترفعها مشاعرها وهمومها المشتركة مع ملايين النساء في مثل ظروفها إلى مصاف نماذج الشخصيات العالمية. على سبيل المثال، إزاء كثير من المواقف ووصف الأحداث والشخصيات نجد رأيها يتشكل ويتبلور من خلال مونولوج داخلي بعبارات تحمل دفقة قوية من عدم اليقين، سواء بالنسبة للمكان أو الزمان، فدائما هناك «كما لو كان .....» أو «وكأنه ....». أما بالنسبة للزمان، فنحن نعرف من فصل «عيد الميلاد» أن لوثيا أكملت 46 عاما، وهي سن لها دلالتها، خاصة لو ربطناها بالحوار الدائر بين البطلة وخادمتها في «ممثلتان»، فيما يتعلق بالأمراض وأعراض انقطاع الدورة على النساء»، حيث كان السرد شديد التحديد، بالغ القسوة في استعراض آثار تلك العوارض الزمنية على المرأة. ولكن مع ارتباط الانفصال بالوحدة وتفاصيلها نجد إصرارًا على استخدام

t.me/qurssan

مفردات تعكس عدم تحديد الوقت مثل «البرهة» أو «لفترة ما» أو «بعض الوقت»: لوثيا تخشى مرور الوقت فلا تريد أن تحصيه، حتى لا يتسرب. وإن كان هذا لا يمنع من أن كل مشهد يستعرض حالة عاطفية معينة وتطورًا معينًا في شخصية البطلة أحيانا أكثر ضعفا، وأحيانا أكثر قوة، على الرغم من أنه طيلة الوقت، ومع الإصرار على فكرة أن الانفصال حرر لوثيا، تظل البطلة مرتبطة عاطفيا ببدرو منذ المشهد الأول الذي تراقبه فيه وهو يرحل، وحتى المشهد الأخير وهو يرحل أيضا، ولكن شتان ما بين اللحظتين. فعلى طول الأحداث لم يتوقف السرد عن جعل البطلة تتأمل نفسها وتعيد تقييم ذاتها، تقوم من عثرتها، وتحدد اختياراتها بأسلوب أكثر عقلانية وتقريرا وليس أقل استمتاعا من خلال بنية «الحب واللاحب» التي أبدعتها سيلفيا أرازي في هذه الرواية.

تتضمن الأحداث شذرات من طفولة لوثيا، وعلاقتها بوالدتها ووالدها، ولا يحتاج الأمر كثيرًا من الجهد لاكتشاف مدى ارتباط البطلة بوالدها ذي الأصول العربية (سوري من دمشق)، ومدى تعقيد علاقتها بوالدتها بولا: تبدأ بالانبهار بجمالها وثقافتها العميقة «الاندماج في أوساط الفنانين والشعراء والرسامين لدرجة حفظ أشعار لوركا عن ظهر قلب. وصولا إلى كراهيتها إلى حد الإذلال في مشهد المستشفى حين ناولتها الممرضة القصرية لتعتني بزوجها المريض». بل ولا يتوقف الأمر عند ذلك، حيث تخشى لوثيا أن تصبح ابنتها مثل جدتها أو تصبح هي مثل أمها حين تبدأ في انتقاد تصرفات ابنتها.

طه زيادة، القاهرة 8 مارس 2019

t.me/qurssan

t.me/qurssan

سيلفيا أرازي، من مواليد بوينوس أيرس، الأرجنتين. كاتبة ومغنية وممثلة. درست تاريخ الفن بجامعة بوينوس أيرس، والشعر الغنائي بمعهد كولون العالي للمسرح، ويتضمن أداء الشعر الكلاسيكي، والرعوي الفرنسي والكنسي.

حصلت مجموعتها القصصية «ما أسرع حلول المساء» على جائزة خوليو كورتاثار للقصة القصيرة في إسبانيا (1998)، وترأس لجنة التحكيم الأديب الأورجوائي الكبير أوجوستو روا باستوس. ترجمت روايتها الأولى «معلمة الموسيقى» (1999) إلى الألمانية والهولندية، وأعيد نشرها في الأرجنتين مرة ثانية عام 2017، وتحولت إلى فيلم سينمائي من إخراج أرييل برويتمان. كما نشرت عام 2004 رواية «موسيقى الوداع».

نشرت أعمالا شعرية مثل «كلودين والبيت الحجري» و«الشفيعة: رواية هايكو قصيرة»، وحصل الديوان على المركز الثاني لجائزة الصندوق الوطني للفنون. نشرت للأطفال «عائلة كوبيرتو»، قصص شعرية و«الطفل قليل الكلام» رواية، وقصص وأشعار أخرى للغناء مثل «حيوات قطط: للغناء مع أطفال أو قطط». أما روايتها «الانفصال» التي نشرت مؤخرا في الأرجنتين فسوف يعاد طبعها قريبا في إسبانيا، ومن المرتقب نشرها مترجمة إلى عدة لغات في الهند ومقدونيا وجمهورية التشيك والعالم العربي.

t.me/qurssan

طه زيادة، القاهرة 1971، مترجم وصحفي مصري درس الإسبانية في كلية الآداب جامعة القاهرة، وحصل على ماجستير الترجمة من جامعة سلمكنة الإسبانية 2016، حصل على جائزة الترجمة من المركز القومي للترجمة وكلية الألسن في جامعة عين شمس، وسفارة إسبانيا في القاهرة لعام 2015، حصل على منحة بيت المترجم في تراثونا بإسبانيا عامي 2017 و2018.

نشر له حتى الآن: (أساطير شعبية من آسيا) مشروع لجمع تراث حكايات جنوب شرق آسيا برعاية اليونسكو، عن الهيئة العامة للكتاب، 2006. (الآتي من الزمان أسوأ) رفائيل سانشيث فرلوسيو 2015 عن المركز القومي للترجمة. (رحلة إلى مصر وسوريا وفلسطين) لإيميلو جارثيا جوميث، عن المركز القومي للترجمة 2018. (شجار قطط) لإدواردو مندوثا عن دار مسعى للنشر 2019، وله تحت الطبع «ماذا يحدث في كتالونيا؟» عن دار مسعى أيضا.

t.me/qurssan

SILVIA ARAZI

LA SEPARACIÓN

سيلفيا أرازي

الانفصال

تبدأ الرواية بجملة تنبئ بحدث فاصل، حاسم ومدمر للعلاقة بين الرجل والمرأة على لسان لوثيا: «أتطلع إلى رجل نائم إلى جواري، سيُصبح اعتبارا من الغد وإلى الأبد، زوجي السابق، ومن المحتمل ألا يعود للنوم بجانبي مرة أخرى».

وهكذا من البداية يواجه القارئ بمرارة التحول الذي يطرأ على واحدة من أقوى العلاقات الإنسانية بين شخصين، ليكتشف منذ الفصل الأول أنها بالرغم من طبيعتها المستدامة، لها وجه آخر أكثر هشاشة وسريع الزوال.

تتضمن الأحداث شذرات من طفولة لوثيا، وعلاقتها بوالدتها ووالدها، ولا يحتاج الأمر كثيرًا من الجهد لاكتشاف مدى ارتباط البطلة بوالدها ذي الأصول العربية، ومدى تعقيد علاقتها بوالدتها بولا: تبدأ بالانبهار بجمالها وثقافتها العميقة «الاندماج في أوساط الفنانين والشعراء والرسامين لدرجة حفظ أشعار لوركا عن ظهر قلب. وصولا إلى كراهيتها إلى حد الإذلال في مشهد المستشفى حين ناولتها الممرضة القصرية لتعتني بزوجها المريض».

طه زيادة

t.me/qurssan